مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 26، العدد 9: 2018.
Journal of University of Babylon for Humanities, Vol.(26), No.(9): 2018.

Alexander Michael Gorchakov (1798-1883) and its Effect on Russian Policy

Nadia Jasem Kadhim Al-Shammari **Oday Mohammed Kadhum**
Babylon Centre for cultural and historical Studies/University of Babylon
Dr.nadia@uobabylon.edu.iq

Submission date: 2/9/2018 **Acceptance date**: 1/11/2018 **Publication date**: 10 /1/2019

Abstract

The study explaind that Gorczakov made a policy of his own, not relying on the legacy of his political family, but imposing himself on the political scene in Russia through his views and discussions at the conferences held during his tenure as Russian foreign minister and his Political speeches, which were impressive and increase his Political influence day after day Between the masters of politics, and what we see launched a violent attack on its enemies in defense of his Russia, which has all the sincerity and managed to manage the affairs of foreign Russia in the most difficult circumstances that is the escalation of the Balkan crisis in the second half of the nineteenth century, Russia's Russian Politicians and the Russian people realized that Gorchakov, the best man who ran Russia's wartime affairs, was a man who was both fascinated by the romance and horrors of war and did not believe in surrender because he believed that compromises must take place from strength. Achieved only with full victory.

Key Words : German Confederation, Koniggratz, Marco Palabanov, Navi Buzar, Three Emperor League

الكسندر ميخائيل غورتشاكوف (1798-1883) وتأثيره على السياسة الروسية

نادية جاسم كاظم الشمري عدي محمد كاظم
مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية/ جامعة بابل

الخلاصة

تقتضي الضرورة مواصلة الاهتمام بالكتابة عن الشخصيات المهمة في اطار دراسة التاريخ الروسي الحديث، التي شاركت بصورة أو بأخرى في إيجاد حلولاً للمشاكل التي كانت تعاني منها أجزاء من القارة الأوربية، وكان لها دورٌ فاعلٌ في الأحداث والتطورات السياسية التي مرت بها، واذا كانت الدراسات التاريخية التي بحثت هذه المدة التي نحن بصدد دراستها، قد تطرقت الى دور تلك الشخصيات ومواقفها ضمن الاحداث السياسية، فان ذلك لا يعني ان أي مطلع يمكنه ان يكون صورة واضحة المعالم والابعاد عن تلك الشخصيات الفاعلة من خلال الدراسات الواسعة، لـــذا اصبح من الضروري تخصيص دراسات علمية مستقلة جادة وتفصيلية عن تلك الشخصيات التي لها ثقل في المجتمع الروسي.

ليست مهمة الكتابة عن غورتشاكوف سهلة كما قد يظن البعض، بل إنها مهمة في غاية الصعوبة والتعقيد، يقع الباحث فيها تحت وطأة الاختيارات والمواقف المختلفة، لأن المدة الزمنية التي شملها موضوع البحث كانت مليئة بالأحداث السياسية ولا سيما تزايد الصراع بين الدول الاوربية الكبرى التي كانت تتطور اقتصاديا وتزداد حاجتها الى مناطق نفوذ في النصف الاول من القرن التاسع عشر بحيث وصل الصراع من الشدة لم يسبق له مثيل في جنوب شرق اوربا التي كانت معظم دولها خاضعة للسيطرة العثمانية فتفاقمت المسألة الشرقية وشهد المسرح الدولي ازمات حادة كان اخطرها هي الأزمة البلقانية 1875–1878، وتباين المواقف التي كان يتخذها وزير خارجية روسيا في كثير من الأحيان، وفقا لما يحقق الأهداف السياسية والاقتصادية الروسية في الدولة العثمانية ، وهذه تتطلب من الباحث أن يراجع مصادر متنوعة من أجل تقديم تحليلات مقبولة ونتائج فاعلة نستفيد منها في الوقت الحاضر هذه للوقوف بوجه ما يخفيه المستقبل المنظور والبعيد في مختلف جوانب حياتنا.

الكلمات الدالة: الاتحاد الالماني، كونيكراتز، ماركو بالابانوف، نوفي بازار، عصبة الاباطرة الثلاثة.

by University of Babylon is licensed under a Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH)
Creative Commons Attribution 4.0 International License

1- المقدمة

1-1 الكسندر غورتشاكوف وسيرته الدبلوماسية

دبلوماسي روسي ولد في الرابع من حزيران 1798 بمدينة استونيا Estonia على الساحل الشرقي لبحر البلطيق من اسرة ارستقراطية وقد منح لقب الامير نظرا للجهود التي بذلها اثناء تسلمه المناصب الدبلوماسية، تلقى تعليمه الأساسي في كانون الثاني 1811 بمدرسة النبلاء في مدينة تسارسكوي سيلو Tsarskoye Selo بالقرب من سانت بطرسبورغ St.Petersburg، وتسمى أيضاً القاعة الإمبراطورية المصممة لتعليم أفضل الشخصيات المخطط لها بعد توليها مناصب مهمة لخدمة الامبراطورية الروسية [3]؛[2,PP. 583-584]؛ [1, PP.49,726] نفس المكان التي نهل منها العلم والثقافة الشاعر الكبير والمؤسس الحقيقي للأدب الروسي الجديد الكسندر سيرغييفيتش بوشكين Alexander Sergeyevich Pushkin (1799-1837) الذي كتب له مؤلفات فنية رائعة تنبأت بمستقبل غورتشاكوف اللاحق[4، ص352].

بدأ الامير الشاب مساره الحقيقي الأول في وزارة الخارجية في التاسعة عشر من عمره، وكان الكونت كابودستيريا كيوفاني أنتون Copodistria Kyovanni Anton(1776-1831) الدبلوماسي الروسي سكرتير قيصر روسيا الكسندر Alexander I (1801-1825) للشؤون الخارجية وممثل الوفد الروسي ضمن مؤتمر فينا الذي أسهم مع الأمير في نشاطاته الدبلوماسية في مؤتمرات لايباخ وفيرونا أول معلم له في الفن الدبلوماسي[5، ص807].

لم تكن علاقات غورتشاكوف جيدة مع كارل روبرت نسلرود Karl Robret Nesselrode (1780-1862) سكرتير الدولة الدبلوماسي الروسي الذي ساهم في توجيه السياسة الخارجية الروسية في المدة ما بين (1813-1856)، الأمر الذي ترك آثاره السلبية في ترقيته في المناصب الدبلوماسية لاحقاً. وهذه المدة مميزة فقد شارك في مفاوضات الوفد الروسي في مؤتمر فينا ، اكس لا شابيل، ليباخ حتى تسلمه منصب مستشار كانون الثاني 1844، ثم وقع معاهدة باريس في الثلاثين من اذار 1856 [5،ص2914].

تقلد الشاب المذكور منصب سكرتير السفارة الروسية في لندن في كانون الثاني 1819، وبـــذلك حقق رغبته وميوله الدبلوماسية، ثم ترقى في الخدمة الدبلوماسية إلى السكرتير الأول للسفارة الروسية وانتقل الكسندر غورتشاكوف في الأول من شباط 1827 إلى السفارة الروسية في العاصمة الايطالية ثم سافر إلى اليونان في الجزء الجنوبي من البلقان واطلع على التراث والثقافة اليونانية ودرس اللغة اليونانية وجمع معلومات واسعة عن الأوضاع العامة عن شبه جزيرة البلقان اليونان والدول البلقانية المجاورة لها التي تشمل ألبانيا ، بلغاريا ورومانيا ، وانتقل في كانون الثاني 1828الى برلين ليشغل المنصب نفسه، ثم عاد الى روما وتقلد منصب القائم بأعمال السفارة[6,PP.5-11]؛[7].

عين غورتشاكوف في كانون الثاني1841 مفوضا في امارة فيورتمبيرغ الألمانية، تم تكليفه من قبل القيصر نيقولا الاول بنشاط سياسي للاستفادة من الخلافات القائمة بين دولة النمسا والدويلات الألمانية وتوظيفها لتحقيق أهداف روسيا السياسية لمنع تأسيس دولة المانية على الحدود الروسية، ونظرا للجهود المبذولة من قبل الامير المذكور في هذا المجال فقد كرّمه القيصر الروسي بوسام القديسة السيف الذهبي للفخر والمجد والشجاعة، ثم عينه القيصر سفيراً مفوضاً في الاتحاد الالماني German Confederation التي

يتكون من تسعة وثلاثين دويلة المانية تولت النمسا رئاسته وكان هدف الاتحاد حفظ الامن والسلام للدويلات الالمانية[8, P.479]; [9].

تولى الكسندر غورتشاكوف منصب السفير الروسي في العاصمة النمساوية في الثاني من شباط 1854، ثم أصبح وزير الخارجية الروسية في المدة (1856–1883) وتمكن من توطيد العلاقات الروسية–الاوربية بعد حرب القرم[10,P.111] وهذا ما سنوضحه فيما بعد.

2– موقف الكسندر غورتشاكوف من حرب القرم (1853–1856)

بدأت حرب القرم على شكل نزاع ديني بين رجال الدين الكاثوليك والارثوذكس في فلسطين، ولكنه سرعان ما تحول الى قضية دولية عندما طالبت الحكومة الفرنسية في الأول من ايار 1851 من الحكومة العثمانية بوثيقة رسمية تؤكد فيها الوضع الافضل لرجال الدين الكاثوليك ورغبتها في احياء الامتيازات التي اقرتها لهم المعاهدات القديمة لا سيما معاهدة عام 1740 والتي لم يعد رجال الدين الكاثوليك يتمتعون بها[11، ص551]؛ [12,PP.16–17].

وافقت الحكومة العثمانية على الطلب الفرنسي في السادس من شباط 1852 مما اثار امتعاضا شديدا لدى القيصر نيقولا الاول Nicholas I [*] الذي بادر وطلب من السلطان العثماني عبد المجيد الاول (1839–1861) التراجع عن قرارها على الفور.[14, P. 254]; [12,P. 17]

رأى القيصر في النزاع بشأن الأماكن المقدسة حجة ملائمة ومقنعة لتأمين وتوسيع النفوذ الروسي في الدولة العثمانية، وكان رعايا الدولة العثمانية المسيحيون لا سيما الأرثوذكس يؤلفون في وجهة نظر القيصر والحكومة الروسية وسيلة ملائمة لتحقيق هذا الهدف، فقد كانت روسيا دائبة على توسيع نفوذها ورفع مكانتها فيما بينهم بمختلف الوسائل من خلال توزيع مبالغ نقدية على رجال الدين الارثوذكس وتعمير الكنائس والاديرة وافتتاح عدد من المعاهد الدينية في القدس وغير ذلك من الاجراءات [15، ص126]؛ [16,PP.244–245] .

وتبعاً لذلك أرسل القيصر نيقولا الأول ، الكسندر سيرجيفيتش منشيكوف Aleksandr Sergeyevich Menshikov[**] الى اسطنبول في التاسع من اذار 1853 وكان أهم مطاليب هذه البعثة الاعتراف لروسيا بحق حماية الكنيسة الارثوذكسية ورعايا السلطان الأرثوذكس بشرط أن يوثق القبول بصيغة رسمية بنفس الشكل الذي ورد في الامتيازات الممنوحة لفرنسا عام 1740 فيما يتعلق بحماية المسيحيين الكاثوليك.[18، ص 175،180]؛[19, PP.122-123].

رفضت الدولة العثمانية المطالب الروسية وقطعت العلاقات بين الدولتين وغادر منشيكوف اسطنبول على متن احدى المراكب الروسية في الثامن عشر من ايار مهدداً الدولة العثمانية، وتقدمت القوات الروسية لاحتلال ولايتي ولاشيا وملدافيا لتبدأ من هنا حرب القرم [20، ص502–503].

أثار احتلال روسيا لولاتي الدانوب غضب الدولة العثمانية وأرسل السلطان العثماني عبد المجيد الاول انذاراً في الرابع من تشرين الاول 1853 إلى ميخائيل ديميتريفتش غورتشاكوف Mikhail Dmitriyevich

---

(**)منشيكوف: قائد عسكري ورجل دولة روسي، ولد في سانت بطرسبورغ عام 1787 وكان له دورا فاعلا مع القيصر الكسندر الأول في الحرب ضد نابليون (1812–1814)، تقلد مناصب عسكرية متعددة فقد حصل على رتبة جنرال في الجيش الروسي عام 1816، ثم وزيراً للحربية عام 1836، وظل قائداً عاماً للجيوش الروسية في حرب القرم، حتى عام 1855، توفي في أيلول 1867.

Gorchakov[*] بصفته قائد الجيوش الروسية في ولايتي الافلاق والبغدان طلب منه ابلاغ حكومته بضرورة انسحاب القوات الروسية من الافلاق والبغدان في مدة اقصاها لا تتجاوز اسبوعين ، وبعسكه فأن الحكومة العثمانية تعدّ تواجد المقاتلين الروس في هاتين الولايتين المذكورتين تهديداً عسكرياً لأمن وسيادة العثمانيين ونذيراً باندلاع الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا [23، ص103] ؛[24، ص312].

طالبت الدولة العثمانية من بريطانيا وفرنسا بمساعدتها بالدعم العسكري والمالي، وكانت الدولتان المذكورتان مستعدتين لمنحها القروض المالية المطلوبة بشرط ان تعقد معها حلفاً عسكرياً وذلك لان حكومتي الدولتين كانتا قد قررتا محاربة روسيا وتوجيه لها ضربة قاضية لانها تعدها عدوها اللدود ومنافسها الرئيسي في الشرق[25,PP.129-130].

صمم القيصر نيقولا الأول اجراء محادثات مع الامبراطور النمساوي فرانس جوزيف Francis Joseph[**] محاولا من خلالها الى الاتفاق مع الحكومة النمساوية وابعادها عن معسكر اعدائه بريطانيا وفرنسا، فأرسل في كانون الثاني 1854، أي قبل ان تدخل هاتان الدولتان الحرب واحداً من أشهر الدبلوماسيين الروس هو الكسندر غورتشاكوف السفير الروسي في فينا الذي امتاز بقابليات دبلوماسية مشهودة، فكلفه بمهمة سياسية تضمنت تحييد النمسا كونها حليفة مستقبلية للدولة العثمانية في حربها ضد روسيا، لذلك اقترح على الامبراطور النمساوي ان تلتزم بالحياد الودي تجاه روسيا، مقابل ذلك يتعهد القيصر باشراكها مع روسيا في حماية المناطق التي يجري تحريرها ويوافق على احتلالها للبوسنة والهرسك ويتعهد بمنع الحركات القومية من تهديد الامبراطورية النمساوية ويعدها بالمساعدة المسلحة ضد الغرب[25,P.140].

لم تنجح مساعي الكسندر غورتشاكوف وتحقيق الآمال التي طمح القيصر اليها، بل على العكس توصل الدبلوماسي المذكور الى قناعة جديدة وقدم وجهة نظره للقيصر مفادها الابتعاد عن النمسا وتعزيز علاقات الصداقة مع فرنسا [25, PP.141-142].

اثبتت مجريات الامور صحة وجهة نظر غورتشاكوف فبمجرد مغادرة الأخير فينا امر فرانس وزيف الجيش النمساوي تعداده نحو (13) الف مقاتل بالتحرك الى ترانسلفانيا Transilvania في رومانيا، الأمر الذي شكل تهديداً لقوات الاحتلال الروسية في امارتي الدانوب [21, PP.132-133]

طلبت النمسا من روسيا في الثلاثين من حزيران 1854 سحب الجنود الروس من الافلاق والبغدان، الامر الذي اثار غضب القيصر نيقولا الاول ضد النمسا، فكتب الى القائد العام لجيش الدانوب غورتشاكوف في اواسط تموز في العام ذاته قائلاً :" .... وهكذا فقد حان الوقت للتحديات والوقوف بوجه الدولة العثمانية وحلفائها ، ولكن يجب على القوات الروسية ان توجه جميع اهتماماتها وامكانياتها واستعداداتها الحربية ضد

---

[*]غورتشاكوف: جنرال عسكري روسي، ولد في السابع عشر من أيار 1797، كان له دورا فاعلا في الحروب النابليونية والحرب الروسية – العثمانية (1828–1829)، أصبح قائداً عاماً للجيش الروسي في حرب القرم، توفي في الثلاثين من ايار 1861.

[**]فرانس جوزيف (1830–1916): امبراطور النمسا، اصبح امبراطورا عام 1848 حتى عام 1916بعد تنازل عمه فرديناند عن عرش الامبراطورية . توج ملكاً للمجر عام 1867، ورغم انه اضطر على قبول التغييرات الكبيرة التي طرأت في دولته عام 1867 والمتمثلة بالملكية الثنائية النمساوية–المجرية ، الا انه استمر مؤيدا للإدارة الأوتوقراطية ، حكم فرنسيس جوزيف لأطول مدة مقارنة بملوك وأباطرة أوربا الآخرين .

النمسا وانزال اشد العقوبات عليها على نكرانها الوقح للجميل الذي قدمته لها روسيا للقضاء على الثورة الهنغارية 1849 ومقاومة جميع الانظمة الملكية المستبدة القائمة ضدها " [27, str. 31].

ان هذه التطورات مع وقوف دول الحلفاء فرنسا وبريطانيا الى جانب الدولة العثمانية اجبرت القوات الروسية على الانسحاب من امارتي الدانوب وحلت محلها القوات النمساوية قي العشرين من آب 1854 [18، ص194].

في هذه الاثناء كانت تجري في جبهات القتال معارك حامية تمكن الحلفاء من ضرب حصارهم على البحر الاسود في سيباستيبول Sebastopol الذي كانوا يأملون بالاستيلاء عليها ولكن المدينة لم تستلم بفضل جهود غورتشاكوف وخططه العسكرية من خلال وضع عوائق عسكرية لمنع وصول الامدادات والمؤن العسكرية الى دول الحلفاء اضافة الى البرد الشديد والأمراض المهلكة التي كانت تفتك بقوات الحصار وتزيد من نسبة الوفيات. لكن الظروف المستجدة منها وفاة القيصر نيقولا الاول وموقف النمسا وانضمام سردينيا الى معسكر اعداء روسيا وموقف السويد المتعاطف مع الدول الغربية واستنفاذ جميع طاقات البلاد والجيش كل ذلك دفع القيصر الجديد الكسندر الثانيAlexander II (*) الى البحث عن حل سلمي وقبول الانذار النمساوي في الثامن والعشرين من كانون الاول 1855 الذي تضمن استبدال الحماية الروسية لولاشيا وملدافيا بحماية الدول الاوربية الكبرى بأجمعها، وعدم السماح لاساطيل الدول الاوربية بالمرور خلال مضيقي الدردنيل والبسفور إلى البحر الأسود ومنعت كلتا الدولتان روسيا والدولة العثمانية ان يكون لهما اسطول حربي في هذا البحر او تحصينات على سواحله، وتنازل روسيا عن الجزء المتاخم للدانوب من بسارابيا [30، ص223]؛ [18، ص197]؛[189-188.ПП , 31]

اخبر السفير النمساوي بوول في فينا السفير الروسي غورتشاكوف في حالة رفض دولته مطاليب الانذار فأن النمسا ستقطع علاقاتها الدبلوماسية مع روسيا، فبادر القيصر الكسندر الثاني بمجرد ان تسلمت الحكومة الروسية الانذار النمساوي عقد في الأول من كانون الثاني 1856 اجتماعا للمجلس الامبراطوري في مكتبه في قصر الشتاء وقرر المجلس في هذا الاجماع قبول شروط الانذار النمساوي [18، ص202] .

انتهت حرب القرم بعقد معاهدة باريس في الثلاثين من آذار في العام نفسه باندحار روسيا وفقدت حق الاحتفاظ باسطول في البحر الأسود وأغلقت مضيقا البوسفور والدردنيل في وجه الأساطيل البحرية لجميع الأمم، وتجريد روسيا من أية إمكانية للوصول الى نهر الدانوب، وانهيار السياسة الدبلوماسية التي كان يتبعها وزير خارجية روسيا نيسلرود، الأمر الذي ادى الى تصميم القيصر الكسندر الثاني على البحث عن دبلوماسي ينتهج سياسة دبلوماسية جديدة، ووقع اختياره على الكسندر غورتشاكوف [32، ص216–217]؛ [. 33, PP 2431-2436].

قدم وزير خارجية روسيا تقريراً مفصلاً للقيصر الروسي الكسندر الثاني وضح فيه وجهات نظره لسياسة دولته الخارجية قائلاً :" ان روسيا لا تغضب من هزيمتها في حرب القرم، ولن تتدخل في شؤون القضايا الأوربية مؤقتا بأي شكل من الأشكال، ولن تضحي بمصالحها السياسية والاقتصادية من اجل مبادىء

(*)الاسكندر الثاني (1818 – 1881): قيصر روسيا، ولد في الثامن عشر من نيسان 1818، اعتلى العرش الروسي بعد وفاة والده القيصر نيقولا الاول عام 1855. كان مقتنعاً بأنّ حالات الفوضى سببها المؤسسات القديمة ونظام الحكم الاستبدادي، لذا قام بسلسلة من الإصلاحات لتحديث مجالات الحياة في روسيا منها تحرير العبيد، وتشكيل حكومات محلية عرفت باسم زمستفو، واصلاح التعليم، واستحداث نظام التجنيد الالزامي. الا انه اضطر، بسبب الاضطرابات التي حدثت في اراضي بولندا الروسية في عام 1866، وتعرضه لمحاولة اغتيال إلى التحول للحكم المطلق. توفي القيصر في الثالث عشر من اذار 1881.

الحلف المقدس التي تعهدت كلاً من الدول الثلاث روسيا وبروسيا والنمسا على التعاون المتبادل فيما بينهم باسم الديانة المسيحية من اجل حماية الدين وحفظ الامن والسلام وتحقيق المساواة الذي اصبح حبراً على ورق كما تبين في الاحداث السابقة التي مرت بها هذه الدول الثلاثة، بل تركز اهتمامها في تجميع قواها العسكرية من اجل استعادة قوتها وهيبتها الدولية التي خسرتها في حرب القرم " [34, PP.7-9]؛[35, PP.37]؛ [https://www.marefa. Org / wiki].

ركز غورتشاكوف اهتمامه بالغاء بنود معاهدة باريس التي انتقصت من مكانة روسيا الدولية ولا سيما البند الذي تضمن تحييد البحر الاسود واسترجاع روسيا نفوذها السياسي في البلقان. وبدأ بتنفيذ خطته الجديدة التي تركزت الى تعزيز العلاقات الروسية–الفرنسية وتعميق علاقات الصداقة بينهما ولا سيما رغبة فرنسا للتقارب من روسيا بعد ان اتفقت مع سردينيا بتقديم الدعم العسكري في تحرير ايطاليا من الاحتلال النمساوي مقابل حصول فرنسا نيس وسافوي، الامر الذي ادى الى عقد اتفاقية في الثالث من اذار 1859 بين روسيا وفرنسا وعدت روسيا بموجبها بأتخاذ موقف الحياد الودي تجاه فرنسا في حربها المقبلة مع النمسا، مقابل موافقة فرنسا على الاتفاق مع روسيا فيما يتعلق إدخال التعديلات في معاهدة باريس[36، ص118]. لكن عندما تأججت الانتفاضة البولندية في المدة ما بين (1863 –1864) التي ترأسها النبلاء البولونيون ضد الاضطهاد القومي والاجتماعي وحرية بولونيا والتخلص من جميع القيود التي وضعتها الحكومة الروسية، فضلاً عن رغبة الفلاحون الحصول على الأراضي التي كانت بحوزة الملاكين العقاريين، وقفت بروسيا إلى جانب روسيا وساندتها، بينما فرنسا وبريطانيا اتخذت موقفاً مسانداً للمنتفضين وطالبتا روسيا الاستجابة لمطاليبهم، رفضت روسيا تلبية تلك المطاليب وقمعت هذه الانتفاضة بوحشية فاعدم الكثير من المنتفضين ومعظمهم زج بهم في السجون او ارسلوا الى الاشغال الشّاقة[4، ص381].

ان موقف فرنسا الى جانب المنتفضين ادى الى برود العلاقات الروسية–الفرنسية، ووضع حدا للعلاقات بين الدولتين، مما ادى بوزير خارجية روسيا غورتشاكوف البحث عن حليف جديد، فوقع اختياره على بروسيا[36، ص119].

عين غورتشاكوف في كانون الثاني1862 نائباً لمستشار القيصر الروسي وبذل كل مساعيه من اجل تقوية العلاقات مع بروسيا لتحقيق هدفه وهو إلغاء بنود معاهدة باريس وقد شاركه في ذلك المستشار البروسي اوتو فون بسمارك Otto Von Bismarek[*] الذي كرس كل جهوده من اجل تحقيق الوحدة السياسية الألمانية وقد تعزز هذا التقارب عندما وعد غورتشاكوف المستشار البروسي بسمارك اتخاذ روسيا موقف الحياد الودي

[*]اوتو فون بسمارك (1815 – 1898): سياسي الماني، ولد في شونهازن بقرب ماجدنبرج ، انحدر من اسرة محافظة لها اصالة عسكرية وقانونية، درس القانون واشتغل في السياسة، تقلد عدة مناصب دبلوماسية. أصبح وزيرا بروسيا في الكونفدرالي الألماني في فرانكفورت عام 1851 حتى عام 1859، وعمل سفيراً في سانت بطرسبورغ وباريس وبروسيا ورئيس وزراء بروسيا عام 1862. وكانت اهم احداثه السياسية الثلاثة اتفاقه مع النمسا على محاربة الدنمارك عام 1864، مما ادى الى ضمه مقاطعتي شلزفيك وهولشتاين، وكان الحدث الثاني محاربته النمسا عام 1866 مما ادى الى انشاء اتحاد الدويلات الالمانية الشمالية وتزعم بروسيا لفكرة القومية الالمانية – اما الحدث الثالث فكان محاربته فرنسا في الحرب السبعينية مما ادى الى اتحاد المانيا في دولة واحدة واعلان الامبراطورية الالمانية . اضطر إلى تقديم استقالته في اذار عام 1890 بسبب اختلاف وجهات النظر بينه وبين الامبراطور الالماني وليم الثاني في رسم السياسة الداخلية والخارجية الألمانية . فعاش الثمان سنين الباقية من حياته في مقاطعة فريدريش يركز نظره على نقد سياسة خلفائه من خلال المقالات في الصحف والخطب التي كان يلقيها بين جماهير المعجبين الذين كانوا يجيئون لتحيته.

في اي معركة تخوضها بروسيا ضد النمسا، وتحقق ذلك فعلا عندما اندلعت معركة كونيكراتز (Koniggratz) في الثالث من تموز 1866 التي نشبت بين بروسيا والنمسا ودخلتها ايطاليا كطرف ثالث وكانت من اهم نتائجها تحقيق نصر بروسي حاسم وهزيمة النمسا وتسلمت المملكة الايطالية فينيسيا بموجب معاهدة براغ في الثالث والعشرين من آب 1866 [39، ص ص196–197]؛ [435– 428 .PP , 40]؛ [,41 https://www.marefa.org].

اتخذت روسيا أيضاً موقف الحياد الودي في الحرب السبعينية التي اندلعت بين بروسيا وفرنسا حيث وعد غورتشاكوف المستشار البروسي بسمارك بعدم التدخل في الحرب، مقابل ذلك ابدى الاخير استعداده لإسناد روسيا في مساعيها للتخلص من قيود معاهدة باريس. وقد هيأ اندحار فرنسا في تلك الحرب الظروف لالغاء القيود التي فرضتها تلك المعاهدة على روسيا فقد تحطمت قوة فرنسا وهي إحدى الدول الأوربية الرئيسة الموقعة على معاهدة باريس مما أدى إلى فقدانها السياسي في الدولة العثمانية ، ولم تسطيع النمسا تقديم الدعم المالي والعسكري لها بسبب هزيمتها في سادوا، ولهذا ظلت بريطانيا وحيدة الجانب في هذه القضية، الامر الذي استغلته الحكومة الروسية فأعلنت في التاسع عشر من تشرين الاول 1870 بعد ان أيد لها سفيرها في أسطنبول استعداد الدولة العثمانية لتعزيز علاقاتها مع روسيا، بأنها لا تعد نفسها ملزمة ببنود معاهدة التي تحدد حقوق روسيا في البحر الاسود، وأبدت استعدادها لتبدأ مع الدول الاخرى الموقعة على المعاهدة محادثات لاعادة النظر فيها، وقد اثار ذلك غضب بريطانيا والنمسا–المجر فعقد في كانون الثاني 1871 مؤتمر في لندن تمخض عن الغاء حياد البحر الأسود وإقرار مبدأ المضايق امام السفن الحربية مع منح الدولة العثمانية الحق في فتحها وقت السلم أمام السفن الحربية العائدة للدول الصديقة [36، ص119–120]؛ [42, PP.290-292].

وبذلك نجحت جميع مساعي الكسندر غورتشاكوف للتخلص من القيود التي فرضت عليها في معاهدة باريس فيما يتعلق بتحييد البحر الأسود وحقق نجاحا سياسيا ودبلوماسيا لروسيا واصبحت لها القدرة على امتلاك اسطول بحري خاص بها في هذا البحر.

3– سياسة الكسندر غورتشاكوف الخارجية تجاه الأزمة البلقانية (1875–1878)

مارس غورتشاكوف دورا فاعلا في تشكيل عصبة الأباطرة الثلاثة Three Emperor League عام 1872 التي ضمت كل من الإمبراطور الروسي الكسندر الثاني والإمبراطور الالماني وليم الأول WilliamI[*] والإمبراطور النمساوي فرانس جوزيف للدلالة على الصداقة والتقارب بين الإمبراطوريات الثلاث لمواجهة الأفكار والحركات الثورية التي تهدد الأنظمة الحاكمة القائمة في هذه الإمبراطوريات، وتعهدوا بإبداء وجهات النظر المختلفة فيما بينهم في أي مشكلة تهدد وحدتها، واتفقوا على التعاون سويا من

[*] وليم الأول ملك بروسيا وامبراطور المانيا (1797–1888) اشترك في حرب الحلفاء ضد فرنسا ودخل باريس وكان عمره يتجاوز الثامنة عشر ، وفي سنة 1848 عينه اخوه الملك فردريك وليم الرابع حاكما عسكريا على مقاطعة الراين، ولكنه لم ينجح بسبب سياسته التي اتصفت بالصرامة والقوة فآثر ان يترك الحكم ويغادر البلاد الى بريطانيا، ثم عاد عام 1849 ليتولى قيادة الجيش في قمع الثورات التي انتشرت في بلاده وسرعان ما نجح في بضعة اسابيع قليلة من إعادة النظام والبطش بالثوار، ولما مرض الملك سنة 1858 تولى وصاية العرش، ثم خلف اخاه في الحكم سنة 1861 واصبح ملك بروسيا فأصدر قوانين تنظيم الجيش مما اوقعه مع البرلمان – وبعد حروبه مع الدانمارك سنة 1864 ومع النمسا سنة 1866 وانتصاره على كل منهما اصبحت بروسيا هي صاحبة الزعامة على الولايات الالمانية وليس النمسا، ثم اصبح سنة 1867رئيسا لاتحاد دويلات المانيا الشمالية، وفي سنة1871 أعلن امبراطور المانيا في فرساي.

اجل الأمن والمحافظة على الوضع الراهن في شبه جزيرة البلقان ولا سيما البوسنة والهرسك، وانه في حالة الحرب لأي سبب من الأسباب فان القياصرة الثلاث ووزرائهم سوف يتعهدون بالتشاور لاتخاذ قرار واحد واجراء محادثات في كل مسألة تتعارض فيها مصالح دولهم، والتفاهم حول توحيد الخطط في حالة حدوث اعتداء عسكري عليهم من دون الحاجة إلى اتفاق جديد [43، ص471-472].

كانت العلاقات الروسية – النمساوية –المجرية مضطربة يسودها الشك وعدم الثقة بين الدولتين، فقد بذل وزير الخارجية الروسية غورتشاكوف كل جهوده لتخفيف الخلافات بينهما ولا سيما فيما يتعلق بمناطق النفوذ في جنوب شرق اوربا، وازدياد مخاوف روسيا من تشكيل حلف نمساوي-الماني، وتبعا لذلك تمت المناقشة مع وزير الخارجية النمساوية-المجرية يوليوس اندراسي Julius Andrassy [*]جميع المسائل التي من شأنها ان تؤدي الى اندلاع حرب بين الدولتين، فقد اشتكى غورتشاكوف من النشاط السياسي والعسكري النمساوي- المجري في إقليمي البوسنة والهرسك، فيما أكد اندراسي ان بلاده ترغب في المحافظة على سيادة امن وسلامة ممتلكات الدولة العثمانية، وليس لها أي اطماع هناك. وقد أكد غورتشاكوف من جانبه عدم تدخل بلاده في الاضطرابات القائمة في صربيا، وان روسيا ملتزمة بالمحافظة على الوضع القائم في شبه جزيرة البلقان وان سياسة غورتشاكوف التي تهدف الى تعزيز علاقات دولته مع النمسا- المجر لم تثير قلق بسمارك الذي اعتقد ان تقوية العلاقات بين هاتين الدولتين أفضل بكثير، لانه سيبعد خطر الحرب بينهما حسب وجهة نظر المستشار الالماني، بيد أن غورتشاكوف لم يكن مطمئنا لتفاهمه مع نظيره اندراسي، فالتقى السفير الفرنسي في برلين، واكد له عدم توصل حلف الاباطرة الثلاثة الى اية اتفاقية رسمية تهدد الدول الاوربية، وادعى غورتشاكوف انه حث بسمارك على اتباع سياسة معتدلة تجاه فرنسا قائلاً:" ان اوروبا بحاجة إلى فرنسا قوية ويبدو ان غورتشاكوف ناقش اثناء محادثته مع بسمارك العلاقات الالمانية- الفرنسية، وان المستشار الالماني كان يعرف تأزم الموقف التي يشعر بها زميله الروسي غورتشاكوف تجاه فرنسا، وكان ذلك السبب الذي جعله يتصل بالسفير البريطاني في برلين ويوضح له طبيعة الاجتماع، وقال بسمارك: " لقد شاهدت منظراً جديداً في هذا اليوم، لأول مرة يجلس ثلاثة أباطرة من اجل الأمن والسلام، ولقد طمحتُ ان يكونوا علاقات صداقة وسيادة الود والوئام بينهم " [45، ص261-270]؛ [46, PP.21-22].

حرص الامبراطور وليم الأول على تعزيز العلاقات الالمانية – الروسية، فقام بزيارة يرافقه بسمارك ورئيس أركان الجيش الالماني فون مولتكه(Von Monltke)[*] في الأول من آيار 1873 سانت بطرسبورغ، وأجرى مفاوضات مع القيصر الاسكندر الثاني وغورتشاكوف وقائد القوات البرية الروسية

(*)يوليوس اندراسي(1823-1890): سياسي مجري بذل جميع جهوده من اجل استقلال المجر في المدة ما بين(1848-1849)، ثم هاجر الى فرنسا، وعاد الى المجر بعد مضي ثمان سنوات، اصبح رئيسا لوزراء دولة المجر عندما تحولت الامبراطورية إلى مملكة ثنائية عام 1867، انتهج سياسة تدعو الى التقارب مع آل هابسبورغ، ثم اصبح وزير خارجية النمسا-المجر في المدة ما بين (1871-1879)، كرس جميع مساعيه من اجل تعزيز علاقات دولته مع المانيا .

[*]ولد فون مولتكه في بارشيم عام 1800 وتخرج ضابطا في الجيش الدانماركي برتبة ملازم عام 1819، والتحق بالجيش البروسي عام 1826 وتخرج من الكلية الحربية البروسية برتبة ملازم، وتم نقله الى هيئة الاركان العامة 1828، وعين المستشار العسكري لدى الباب العالي في اسطنبول عام 1835، اصبح رئيس هيئة اركان الحرب ؤللجيش البروسي عام 1857، وشارك مولتكه في وضع مخططات الحرب ضد الدانمارك، وفي عام 1866 اصدر الملك البروسي فردريك الثالث اوامره بان يتولى مولتكه قيادة الحرب البروسية ضد النمسا، ثم تولى مولتكه ادارة الحرب ضد فرنسا وهزمها في معركة سيدان في المدة ما بين (1870-1871).

المارشال بيرك وتوصلوا في 6 آيار إلى عقد اتفاقية عسكرية سرية بين الدولتين تعهدت روسيا بموجبها بإرسال مئتي ألف جندي إلى المانيا في حالة تعرضها لاعتداء فرنسي، على ان تلتزم المانيا بتقديم المساعدة نفسها إلى روسيا في حالة تعرضها لاعتداء من دولة أخرى[48، ص11].

وأجرى غورتشاكوف واندراسي محادثات في مصيف شونبرون (Schonbrunn) في فينا توصلا إلى اتفاقية سياسية في السادس من حزيران 1873اطلق عليها اتفاقية شونبرون التي نصت على: " أن يتشاور الطرفان في حالة تعرض مصالحهما للخطر وقررا مقاومة أي تحرك يرمي الى فصلهما فيما يتعلق بالمبادىء التي يعدّون انفسهم فقط القادرين على تأمينها وإذا استدعت الضرورة فرض الحفاظ على السلام في اوربا ضد جميع المحاولات الرامية الى القضاء عليه مهما كان مصدرها والزم الطرفان في حالة تهدد السلام في اوربا من قبل طرف ثالث بالتوصل الى اتفاق بينهما لمواجهة هذا التهديد وإذا اصبح الإجراء العسكري ضروريا، فيتوصل الطرفان الى اتفاقية بهذا الشأن [49، ص24-25].

أشارت معظم المصادر التاريخية أن غورتشاكوف بذل كل جهوده من أجل تقوية علاقات دولته مع المانيا، مقابل ذلك حصول روسيا على وقوف المانيا الى جانبها وتقديم لها الدعم المالي والعسكري ضد بريطانيا لا سيما بعد توتر العلاقات الروسية-البريطانية بعد عقد معاهدة في الثاني عشر من اب 1873 بين خان خيوة سيد محمد رحيم والجنرال الروسي كوفمان، أعلن أمير خيوة خضوعه التام للقيصر الروسي واستمرار علاقات الجوار مع الإمارات المجاورة ومواصلة التبادل التجاري معهم وان يكون نهر جيحون الحد الفاصل بين الدولتين وجميع الأراضي التي تقع على الشاطىء الايمن للنهر السابق خاضعة للسيطرة الروسية، بل وأعطت المعاهدة الحكومة الروسية حرية التصرف فيها كأن تتنازل عنها لبخارى، وانه لا مناص للأمير في مثل هذه الحالة إلا الاقرار بذلك، مما اثار قلق بريطانيا التي كانت تخشى من قيام الروس بعد سيطرتهم على خيوة بمواصلة سياستهم التوسعية نحو الأراضي الافغانية [50، ص56، 62].

نفى غورتشاكوف وزير خارجية روسيا أن يكون القصد من وراء اجراءاتها العسكرية نحو خيوة إلحاق الضرر بالمصالح البريطانية، وارجعت سياسة بلاده في المنطقة الى هدف انساني ينحصر في إطلاق سراح الروس الذي احتجزهم خان خيوة وحماية القوافل التجارية [50، ص63].

كانت العلاقات بين روسيا وبريطانيا في ذلك الوقت جيدة، وكان ذلك ظاهرا من خلال التقارير والمقابلات الرسمية بين غورتشاكوف ووزير خارجية بريطانيا جورج ليفسون غوير جرانفيل George Leveson Gower Granville [*]التي كانت تحدث في لندن وسانت بطرسبورغ[50، ص63].

بذل القيصر الروسي الكسندر الثاني كل جهوده من اجل كسب الدول الأوربية الى جانب دولته لتجميع قوتها فحاول كسب ود فرنسا، فالتقى السفير الفرنسي في سانت بطرسبورغ وتعهد له بعدم الاشتراك في أي اتفاق ضد فرنسا، بينما غورتشاكوف التقى سفير بريطانيا في سانت بطرسبورغ وتعهد له بعدم وجود خطط عسكرية لدى روسيا لشن هجوم على الهند، قائلاً : "ان روسيا لديها رغبة في تقوية علاقاتها مع بريطانيا، وتكون علاقات الروس مع البريطانيين مبنية على اساس المحبة والتعاون ومسايرة السياسة السلمية. واكرر

[*]جرانفيل (1825-1891): سياسي بريطاني ولد في 11 ايار 1825، تسلم منصب وزارة الخارجية ثلاث مرات في (26 كانون الاول 1851-27 شباط 1852) ومرة ثانية (6 تموز1870-12شباط 1874) ومرة ثالثة (28 نيسان1880-24حزيران1885). توفي في 31 اذار 1891.

إننا لا نطمع في اراضي دولة معينة ولا نرغب في توسيع ممتلكاتنا في أي قارة سواء كانت آســيا وافريقيــا واوربا " [52,PP.24-25].

تأزم الوضع السياسي في النمسا–المجر مما أدى بوزير خارجيتها اندراسي إجراء مشاورات مع وزير خارجية روسيا غورتشاكوف في سانت بطرسبورغ، وأعرب عن قلقه من مطالبة بسمارك بتوحيد الالمان الخاضعين لسلطة النمسا– المجر. حقق الاجتماع نجاحا كبيرا لانه أدى إلى تعزيز العلاقات الروسية والنمساوية– المجرية. ثم التقى اندراسي وغورتشاكوف بالسفير الفرنسي في سانت بطرسبورغ، وأعربا له عن تعاطفهما مع فرنسا، وتمنياتهما أن تعود إلى مكانتها في أوربا، وقال غورتشاكوف: " لا تستطيع المانيا إعلان الحرب عليكم، لأنها ستجد الدول الأوربية الكبرى ضدها " [48، ص17].

أصبحت دول عصبة الاباطرة الثلاثة مجموعة مترابطة أكثر، ولا سيما العلاقة بين النمسا وروسيا، ولكن علاقات ألمانيا مع جارتيها أصابها الفتور بسبب شعور الالمان بعدم الارتياح من اهتمامات روسيا بشؤون شبه جزيرة البلقان اكثر من النمسا– المجر بها، مما كان لها انعكاساتها في العلاقات الالمانية – الروسية، الأمر الذي أفزع بسمارك، فطلب من جون رسلJohn Russell [*] في الثاني من كانون الثاني 1875، التعاون بين المانيا وبريطانيا في جنوب شرق اوروبا، واقترح تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية، على ان تكون مصر من حصة بريطانيا، واقترح الفكرة نفسها في الخامس من كانون الثاني على سفير روسيا في برلين اوبرل، الا ان غورتشاكوف رفضها بشكل قاطع[48، ص19].

وبعد فشل مشروع التقسيم حاول المستشار الالماني تلطيف الأجواء مع روسيا وتقوية علاقات الصداقة معها، فقد أرسل السفير الالماني فون رادوفتز (Von Radowitz) في الثاني من شباط 1875 إلى سانت بطرسبورغ بمهمة خاصة لبحث بعض القضايا الخاصة بمنطقة البلقان مع المسؤولين الروس، حيث التقى غورتشاكوف، وابلغه بصراحة بأن مهمته تركزت على عرض الماني في دعم المصالح الروسية في الدولة العثمانية، مقابل وقوف روسيا على الحياد في حالة اندلاع حرب المانية–فرنسية، لكنه لم ينجح في الحصول على رأي غورتشاكوف بشأن الاهداف المخططة للسياسة الروسية، ولاسيما تأثيرها في فرنسا. وبذلك فشلت مساعي رادوفتز في إزالة المعوقات التي تقف عائقاً في طريق العلاقات الروسية – الالمانية " [48، ص19–20].

تعرضت عصبة الأباطرة الثلاثة إلى صدمة قوية أثرت في العلاقات بين دولها وهي تجدد المسألة الشرقية[**] وأعلن بسمارك عن مخاوفه من تعقيدات هذه المسألة بحذافيرها التي قد تؤدي الى تعكير صفو السلام في أوربا أو زعزعة العلاقات الطيبة بين المانيا وروسيا والنمسا، مؤكدا هذا لوزير خارجية روسيا غورتشاكوف في برلين في الثاني من كانون الاول 1875قائلاً له مرارا :" إن المانيا نفسها ليست لها مصلحة

---

[*]رسل: سياسي بريطاني ولد في 8 اب 1792 تقلد مناصب متعددة، تولى وزارة الداخلية 1830–1839، ووزارة الحرب والمستعمرات 1839–1841، ووزارة الخارجية مرتين 1852–1853و 1859–01865، ورئاسة الوزراء 1846–1852و 1865–1866، توفي في 20 اب 1878.

[**]المسألة الشرقية: اختلف المؤرخون في تعريفها، فقد اشارت معظم المصادر التاريخية انها النزاع بين الشرق والغرب في جميع العصور التاريخية ابتداءا من حروب الفرس واليونان والرومان والعرب والحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين ثم بين الاوربيين والعثمانيين، بينما عرفها البعض الاخر هو تحفيز القوميات المضطهدة من قبل الدولة العثمانية في الجانب الاوربي على الاستقلال والحروب بين الروس والعثمانيين التي ظهرت ابتداءا من النصف الثاني من القرن الثامن عشر على اثر الضعف الذي ساد في الدولة العثمانية، فظهرت الصراع والتنافس بين الدول الاوربية لتقسيم ممتلكاتها في منتصف القرن التاسع عشر.

ذاتية في البلقان، فأن مسألة الشرق الأدنى بحذافيرها لا تساوي قلامة ظفر جندي واحد من جنود بوميرانيا " [55، ص36].

اندلعت انتفاضة بين فلاحي ولاية الهرسك[*] المسحيين في كانون الثاني 1875 وقدر لها ان تكون بداية لازمة دولية واسعة، ففي بداية ذلك العام قدم سكان هذا الاقليم الى الباب العالي مطالبيهم التي تضمنت تخفيض الضرائب الثقيلة التي أثقلت الفلاحين من دون مراعاة ظروفهم وظروف محاصيلهم، وتشكيل شرطة محلية من اهل البلد، جوبهت هذه المطاليب من قبل السلطات العثمانية بالرفض القاطع، الأمر الذي أدى إلى امتداد لهيب هذه الانتفاضة إلى البوسنة وبلغاريا وحظيت باسناد فعال[59، ص73–74، 106–107]. من شعوب الدول المجاورة ولا سيما صربيا والجبل الأسود [56، ص220–221].

كان لا بد لهذه الانتفاضة ان تجلب انتباه الدول الأوربية الكبرى التي دأبت على استغلال الانتفاضات البلقانية وتسخيرها لخدمة اهدافها النابعة من مصالحها الاستعمارية في الدولة العثمانية.

قررت الحكومة الروسية من جانبها إبداء المساعدة للثوار، فقد اعتقد وزير الخارجية الروسية غورتشاكوف إن دولته تستطيع من هذا الطريق استعادة هيبتها ومكانتها لديهم بعد أن تقوضت تلك الهيبة نتيجة للاندحار الذي أصابها في حرب القرم، كما دفعها ذلك أيضاً الإسناد الذي أبدته النمسا–المجر لسكان الهرسك والذي يهدد دورها كحامي للعناصر السلافية وهو الدور الذي لم تشأ ان تتنازل عنه للنمسا –المجر، لكن تدخلها المباشر في الشؤون البلقانية من شأنه أن يثير نزاعاً لا ترغب به مع النمسا–المجر وأن روسيا التي ما زال شبح التجمع الاوربي الذي تكون ضدها في حرب القرم يتراءى لها، لم تكن ترغب في هذه المرحلة بالحرب ضد الدولة العثمانية أو أي دولة اخرى، بسبب ضعفها الاقتصادي والمالي والعسكري وهشاشة نظامها، ولهذا فقد فضلت الاشتراك مع الدول الأخرى في الضغط على الباب العالي لكي يستجيب لمطالب الثوار. وانطلاقا من ذلك قرر غورتشاكوف وزير خارجيتها التدخل في الشؤون البلقانية بالاشتراك مع النمسا –المجر انسجاماً مع المبادىء التي تضمنتها عصبة الاباطرة الثلاثة، وقد علق المؤرخ الروسي البارز خفوستوف Chvostov على ذلك قائلاً :"من الواضح أن وراء هذا النوع من سياسة "التعاون" النمساوي–الروسي يختفي في الواقع تنافس "الحليفين" كليهما حول النفوذ في شبه جزيرة البلقان، لقد كان معنى التعاون بالنسبة لكل منهما يكمن في عدم السماح للاخر بأن يعمل منفرداً " [60، ص11–12].

سارع كلا من غورتشاكوف واندراسي إلى الاتصال ببسمارك حتى لا ينفردا بالعمل دونه، ووافق الجميع على حث الدولة العثمانية على إرسال لجنة الى الهرسك للبحث عن افضل الطرق لحل الأزمة، كما أوصوا سفرائهم في اسطنبول بمحاولة لقيامهم بوساطة دبلوماسية لإيجاد أفضل الحلول بالطرق السلمية، ووعد العثمانيون الثوار بالإصلاح المطلوب لحال الفلاحين، ولكنهم رفضوا لانهم لا يثقون في تلك الوعود، وأصروا على ان ينالوا استقلالهم تحت حكم أمير مسيحي أو أن تحتل بلادهم بواسطة قوات أجنبية لحين إيجاد حل لمشاكلهم [56، ص221].

توصل اندراسي في مطلع اب 1875الى اتفاق مع سفيري روسيا والمانيا في فينا وأيدهم غورتشاكوف وزير خارجية روسيا على إرسال تعليمات الى قناصل دول عصبة الأباطرة الثلاثة في مدينة راجوزا لمعالجة

---

[*]يمثل اقليم البوسنة والهرسك الحدود الشمالية الغربية للدولة العثمانية في اوربا، اصبحت هذه البلاد خاضعة للدولة العثمانية عام 1580 واعتنق الكثير من سكانها الاسلام وأصبحوا هم الفئة الحاكمة للولاية وقد أشارت معظم المصادر ان عدد المسلمون نحو (440) الف نسمة، والنصارى الأرثوذكس(575) الف نسمة، والنصارى الكاثوليك (185)الف نسمة .

الثورة بالتعاون مع قناصل الدول الكبرى، لكن المهمة فشلت بسبب معارضة فرنسا ، فقد اراد ديكازيه وزير خارجيتها أن يعيد الى دولته هيبتها بوصفها دولة كبرى، وفي الوقت نفسه أراد الروس أن يكونوا أحراراً في التعامل مع فرنسا وبشكل مستقل عن تأثير المانيا اولا، وخشيتهم من رفض طلب فرنسا قد يدفع الفرنسيين الى التحالف مع بريطانيا ويشكل من جديد حلف حرب القرم ضد روسيا ثانياً [59، ص71].

لم يكن الساسة الروس متفقين على رأي واحد في السياسة التي يتم انتهاجها تجاه الأزمة البلقانية، بل كان هناك آراء مختلفة فالرأي الأول الذي يمثله غورتشاكوف وزير الخارجية الروسية والخبير في السياسة الاوربية، فقد كانت هذه الأزمة بالنسبة إليه متممة للسياسة الأوربية، ويجب أن تكون موضع مناقشات بيد الدول الأوربية، وكان يدعو الى عقد مؤتمر دولي وتكون الموافقة بالإجماع لتنظيم المسألة الشرقية ويوافقه في الرأي كل من وزير الحربية مليوتين Milyutin، ووزير المالية برون روترن Buron Reutern، والسفير الروسي شوفالوف P.A.Shovalov، والسفير الروسي في فينا نوفكوف E.P.Novikov [61,PP.28]؛ [21, PP.181-182].

قال غورتشاكوف: ((انه ليس بالامكان إعطاء البوسنة والهرسك وضعا مشابها للوضع الذي عليه رومانيا)) أما البارون جومني Baron Jommini مسؤول الشؤون الخارجية الروسية في حالة غياب غورتشاكوف ، فكان يرى ان تكون البوسنة والهرسك مرتبطة بالحكومة العثمانية مباشرة، يتزعمها مسيحي لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد، وكان جومني شديد الإصرار على ضرورة تدخل الدول الاوربية الكبرى لمنع صربيا عن القيام بعمل عسكري، ودعا الى اعادة الحكم العثماني المباشر على صربيا [61,PP.28].

أما الاتجاه الثاني فكان وجهة نظر اجناتيفIgnatiev سفير روسيا في اسطنبول وأحد دعاة الجامعة السلافية الى تقديم الدعم المالي والعسكري للسلاف الخاضعين للحكم العثماني والى سياسة روسية مستقلة عن التأثيرات الأوربية تجاه الدولة العثمانية، وكان يرى ان الاخيرة ستنهار بسبب تأجج الثورات في شبه جزيرة البلقان[21, P.182].

رغم عدم قناعة النمسا–المجر بقدرة الدولة العثمانية على اجراء الاصلاحات للثوار بذلت كل جهودها من اجل تأمين الامن والسلام في البلقان، وطلبت من الثوار القبول بالوعود العثمانية والعودة الى بلادهم، إلا أن هذه الجهود لم تثمر شيئاً، بسبب تقديم الدعم العسكري والمالي إلى الثوار من روسيا وصربيا والجبل الاسود، فقد كان غورتشاكوف ينتظر اخفاق تلك الجهود ليتقدم بمطالب جديدة منها اصراره على قيام الحكومة العثمانية بتقديم العون المادي اللازم للثوار للعودة الى منازلهم برهانا على صدق اهتمام روسيا بمعالجة الأزمة البلقانية، وإذا نفذ هذا فإن الدول الأوربية الكبرى يكون بمقدورها الضغط على الثوار للأستجابة الى نداءات السلام، وحاول اندراسي وزير خارجية النمسا–المجر اقناع غورتشاكوف بعدم واقعية المقترحات الروسية [61, P.58].[58,P.239].

رفض غورتشاكوف نداء اندراسي، وزادت الخلافات بين الدولتين، وكادت تصل إلى حالة الصراع، ودعت صحيفة جولوس Golos الدول الاوربية الكبرى للدفاع عن حقوق المسيحيين والضغط على السلطات العثمانية لمنح المقاطعات المسيحية الاستقلال الذاتي، هذا الموقف الروسي المتصلب خلق حرجاً لوزير الخارجية النمساوي اندراسي، إلا أنه لم ير وسيلة أخرى للتوفيق بين مواقفه ومواقف غورتشاكوف إلا التعاون مع روسيا، وهو أمر لا بدّ منه إلى النمسا–المجر، تدخل بسمارك في الامر ودعا إلى احترام مطالب المسيحيين في الدولة العثمانية واوضح لاندراسي بأنه متمسك بأن دعوة مثل هذه تصبح اكثر قبولا بالنسبة لجميع الاطراف من الدعوة الى منح الاستقلال الذاتي لمسيحي البلقان، وطرح بسمارك للسفير الروسي في

لندن شوفالوف الذي زاره في نهاية اذار 1876في برلين مشروع يتضمن بقيام النمسا–المجر باحتلال البوسنة والهرسك ، وتقوم روسيا باعادة جنوب بسارابيا إليها، لكن المشروع رفض [59، ص85] .

كانت لدى غورتشاكوف قناعة تامة بأن المانيا لن تتخلّ عن النمسا–المجر، لذا وجه دعوة الى اندراسي وبسمارك للاجتماع في العاصمة الالمانية في الحادي عشر من ايار 1876، فقد قدم وزير خارجية روسيا مشروعا تضمن تشكيل لجنة دولية مشتركة لتنظيم تطبيق الاصلاحات في الدولة العثمانية بشرط تواجد قوات عسكرية اجنبية على اراضيها، لقي مشروع غورتشاكوف معارضة قوية جدا من كلا اندراسي وبسمارك، لان غورتشاكوف كان يتوقع قيام دولة سلافية في البلقان [61,P.60].

أعلن بسمارك رفضه لأي مشروع الا في حالة اتفاق حليفاه غورتشاكوف واندراسي، وتنازل وزير خارجية روسيا عن موقفه مرة اخرى، وصاغ اندراسي مسودة مشروع اصلاحات جديدة لم يضف اليها غورتشاكوف سوى (تذييل) فحواه: إذا اخفقت المحاولة فلا بد أن تكون (عقوبة لدعم إجراءات فعلية) بعد موافقة الاطراف الثلاثة على مشروع الذي عرف فيما بعد بأسم مذكرة برلين(Berlin Memorandum) التي ارسلت الى سفراء الدول الكبرى في برلين (بريطانيا وفرنسا وايطاليا) في الخامس عشر من ايار من العام نفسه[45، ص279].

أعلنت فرنسا وايطاليا موافقتهما على المذكرة في [58,P.303]؛ [62,P.11]. أما بريطانيا فامتعضت مما وصفته بـــ (ديكتاتورية وقحة) للأباطرة الثلاثة، وقد أعربت عن وجهة نظرها بانهم يخططون وحدهم بدون استشارة بريطانيا واعتقدت بريطانيا ان عصبة الاباطرة الثلاثة تعمل تحت امرة روسيا لأجل تفكيك الدولة العثمانية، وهاجمت صحيفة التايمس اللندية دول العصبة ووصفتهم قائلة بأن((هؤلاء الاباطرة والمستشارون قد غلبهم الوهم وكأنهم فقدوا وعيهم)) [61,P.65].

أعلن اللورد ادوارد هنري ستانلي دربي Lord Edward Henry Stanly Derby[*] وزير خارجية بريطانيا في التاسع عشر من ايار 1876بصورة رسمية عن قرار حكومته برفض مذكرة برلين رفضاً باتاً، الأمر الذي شجع الحكومة العثمانية على رفضها أيضاً، فاقترح غورتشاكوف فرض مذكرة برلين التي تضمنت القيام باصلاحات في الدول البلقانية على الحكومة العثمانية حالا، وعدم السماح للحكومة العثمانية باحباط جهود الدول الأوربية الخمس الكبرى (المانيا، النمسا–المجر، روسيا، فرنسا، ايطاليا)، لكن هذه القوى لم تكن أنذاك مجمعة على العمل سوية لمدة اطول، فقد عدت فرنسا أحداث اسطنبول عزل السلطان العثماني عبد العزيز وما اعقبه وضعا جديدا يستدعي اعادة النظر في مجمل الحالة، وحاولت فرنسا اقناع بريطانيا من جديد للعمل سوية مع الدول الخمس الكبرى لايجاد صيغة جديدة لمعالجة الازمة البلقانية[59، ص89].

كرر البريطانيون مقترحهم للتعاون الالماني –البريطاني، فرد بسمارك ان عدم موافقة بريطانيا لمذكرة برلين قد اضعف التفاهم بينهما، وكانت تساور المستشار الالماني ان بريطانيا ترمي الى بث الشقاق وزعزعة العلاقات بينه وبين غورتشاكوف واندراسي بمعنى اخر تفكيك العلاقات الالمانية –الروسية–النمساوية–المجرية [61,P.68].

---

[*]دربي (1826–1893): سياسي بريطاني ولد في 21تموز 1826، اصبح وزير للخارجية في الاعوام (1866–1868)، ثم استوزر في نفس المنصب في وزارة دزرائيلي الثانية في المدة ما بين (1874–1878)، وانضم الى حزب الاحرار عام 1880، وعين وزيرا للمستعمرات (1882–1885) توفي في 21نيسان 1893.

امتد لهيب ثورة البوسنة والهرسك الى بلغاريا Balgaria [**] في العشرين من نيسان 1876، فقد داهمت القوات العثمانية قرية لوكالتي (Locality) قرب مدينة باتاق يرشتا التي عقدت اللجنة المركزية البلغارية فيها اجتماعاتها السرية العامة التي ارتكزت اهدافها الرئيسة القيام بعمل مسلح ضد الدولة العثمانية، لذا اضطر تيودر كابلشكوف T.Kab Iashkov احد قادة اللجنة السرية في كوبري فشتاتزا الى العصيان والتمرد، وارسل رسالة الى القائد العام للعمليات المسلحة في داخل بلغاريا جورجي بانكوفسكي G.Benkovskiعرفت برسالة الدم التي تدعو البلغاريين لمقاومة كل اشكال السيطرة والاحتلال الاجنبي المعروفة في بلغاريا [69, P.365]؛ [68,PP.22–23].

رافقت انتفاضة بلغاريا اعمال قاسية قام بها الثوار ضد العثمانيون، وبدأت القوى المؤثرة في الدعاية الأوربية بالعمل ضد الدولة العثمانية حيث بلغ عدد الذين ذبحوا من المسيحيين البلغار نحو (12)الف قتيل، مقابل عدد اكبر من المسلمين، تمكنت السلطات العثمانية من اخماد الانتفاضة، وكان بنيامين دزرائيلي Benjamine Disraeli رئيس وزراء بريطانيا (1874–1880) يقلل من عدد الضحايا في المذابح، وكان يقول بأن وراء اثارة روح العداء ضد الدولة العثمانية هدفاً سياسياً هو تنفيذ مخطط عسكري روسي بايعاز من القيصر الكسندر الثاني ووزير خارجيته غورتشاكوف يتمثل في تغطية عدوان روسي وترسيخ النفوذ الروسي في بلغاريا، وكان سفيره في اسطنبول السير هنري اليوت H.EIIiot يؤيده في وجهة نظره [69, P.366]؛ [70,PP.58–61].

على أية حال اتفقت فصائل حركة التحرر البلغارية على ارسال وفد الى عواصم الدول الكبرى لعرض القضية البلغارية والحصول على اسناد مطالب البلغار، وتألف الوفد من الشخصيات المعروفة في النضال البلغاري هما ماركو بالابانوفMarco Palabanov ودراغان تسانكوف Dargan Tsankov اللذان قاما في الرابع من تموز 1876 بجولة شملت عواصم الدول الكبرى وحملا معهما مذكرة بعنوان " بلغاريا" تضمنت شرحاً للظروف القاسية التي سادت بلغاريا بعد انتفاضة نيسان والمطالبة بمنحها استقلالاً سياسياً ذاتياً وانشاء إدارة وطنية فيها، وتم تسليمها الى حكومات البلدان التي زاراها وهي بريطانيا وفرنسا والنمسا–المجر والمانيا وايطاليا وروسيا، واستقبلا هناك من شخصيات رسمية وشعبية بارزة وجدا لديها تفهماً لقضيتهما، ولا سيما من المسؤولين الروس القيصر الكسندر الثاني الذي صرح الى وزير خارجيته غورتشاكوف لتبليغ بالابانوف وتسانكوف بانه اذا لم تقبل الحكومة العثمانية ما سيقرر المؤتمر المقبل المقرر عقده في اسطنبول، فإن روسيا ستقوم بما يتوجب عليها[60، ص33].

[**]تقع بلغاريا في جنوب شرق اوربا وتمتد حدودها الى الجنوب حتى نهر الدانوب، وتحدها رومانيا من الشمال، والبحر الاسود من الشرق، والدولة العثمانية من الجنوب الشرقي. كانت بلغاريا جزءا من الامبراطورية الرومانية، ثم خضعت بعد انقسام الإمبراطورية للحكم البيزنطي، وقد نشأت بعض الممالك البلغارية المستقلة في شبه جزيرة البلقان في القرون الوسطى وفي عام 809م استولى كروم البلغاري على مدينة صوفيا وحررها من البيزنطين، وادخلت المسيحية في بلغاريا عام 865م، واستمرت هذه الممالك محافظة على نوع من الاستقلال النسبي ضمن اطار النفوذ البيزنطي حتى ظهور العثمانيين في المدة ما بين (1363–1393)، وقد حكم العثمانيون بلغاريا (500) سنة، بعد ان استولوا على دول البلقان إثر موقعتي كوسوفو عام 1389، ونيوكدبول عام 1396، وقاموا بتوطين الاتراك فيها من الأناضول في اواخر القرن الرابع عشر، وقد نعم البلغار في بداية الحكم العثماني بنوع من الازدهار الاقتصادي والتقدم الحضاري، الا ان ذلك لم يدم طويلا، ولا سيما بعد انحلال السلطنة العثمانية، وفساد ادارتها، وتزايد تدخل الدول الاوربية الكبرى في شؤونها الداخلية، بسبب موقعها الجغرافي المهم واهميتها الاستراتيجية وقربها من اسطنبول التي تعد تمثل قلب الدولة العثمانية.

وهكذا احتلت القضية البلغارية مكاناً مهما في سياسات الدول الأوربية الكبرى ولا سيما روسيا واصبحت محوراً تفاقم حوله صراع حاد جدا بين روسيا من جهة وبريطانيا والنمسا–المجر من جهة اخرى، فقد ازدادت مخاوف هاتان الدولتان من تحقيق بلغاريا طموحاتها السياسية ونيل استقلالها بمساعدة روسية فتصبح واقعة تحت تأثير النفوذ الروسي وتشكيل دولة بلقانية سلافية جديدة تطل على بحر ايجه بالقرب من المضايق والعاصمة العثمانية، وهذا من شأنه أن يعيق التغلغل الاقتصادي والنفوذ السياسي الذي كانت بريطانيا والنمسا–المجر تسعيان في المنطقة ، لهذا نجد دربي واندراسي يبذلان جهدهما لاحباط الطموحات البلغارية ويقفان موقفاً عدائياً من إمكانية توحيد الأراضي البلغارية ومنحها الاستقلال على العكس من غورتشاكوف الذي بذل جميع مساعيه لمساعدة البلغار على تحقيق اهدافهم السياسية، ليس لان الشعب الروسي ابناء جلدته فحسب، بل لان مصالحها السياسية والاقتصادية كانت تقتضي ذلك [85 – 70,PP.51]؛ [61, P.72]؛ [71,PP.343–348] .

أدت ازمة البوسنة والهرسك وأحداث بلغاريا الى تصاعد مشاعر العداء ضد الدولة العثمانية، وتصاعد نهوض قومي لدى الاقاليم السلافية ولا سيما في صربيا والجبل الأسود الذين يلحون على حكوميتهما باعلان الحرب على الدولة العثمانية لتأييد ونصرة ابناء جلدتهم في البوسنة والهرسك وبلغاريا، ورغم جهود غورتشاكوف الذي نصح صربيا والجبل الاسود بالاحجام عن الحرب ظاهرياً، ولكن كان يشجعهم سرياً ضد الدولة العثمانية من خلال السفير الروسي شوفالوف الذي يرسله الأوامر من القيصر الروسي الكسندر الثاني، وحتى لو كانت روسيا تريد منعهما من الحرب حقيقة فإنها لم تكن تستطيع آنذاك أن تضغط عليهما بما يكفي منعهما، ليس لان الشعب الروسي كان يطالب بالحاح بنصرة السلاف فقط لا سيما ان روسيا شهدت حملة قوية لنصرتهم، بل لان الاوساط الحاكمة كانت ترى في اسناد السلاف وسيلة لتعزيز النفوذ الروسي في شبه جزيرة البلقان، ولاضعاف الحركة الثورية المتنامية في روسيا نفسها ضد مساوىء النظام القيصري الاستبدادي، بل الاوساط الديمقراطية في المجتمع الروسي كانت تتعاطف مع السلاف القادرين على حمل السلاح من اجل التحرر من الدولة العثمانية [72، ص92]؛ [60، ص34–35]. ولهذا فان الصربيين وسكان الجبل الاسود كانوا واثقين من ان روسيا لن تسمح للدولة العثمانية بالتغلب عليهم في حالة اندلاع الحرب بينهم وبينها، لذلك فان الحكومة الصربية وحكومة الجبل الاسود لم تحفلا بالتحذيرات الروسية التي كانت تحثهم على عدم الحرب **[**73، ص131**]**.

ازداد خطر الحرب بين صربيا والدولة العثمانية فطلب وزير خارجية النمسا اندراسي من نظيره دربي ان تنصح بريطانيا صربيا بالاعتدال، واقترح في الوقت نفسه على وزير خارجية روسيا غورتشاكوف التدخل العسكري المسلح المشترك لدولته مع النمسا والمجر، وارسل إلى وايت ممثل بريطانيا في بلغراد تعليمات تقتضي بان يعمل بالتنسيق مع زميله النمساوي على نصح امير صربيا ميلان ابرينوفتش Millan Obernovitch [*] بان يلتزم بخط يقوم على التهدئة، لكن غورتشاكوف رفض الاقتراح النمساوي فيما يتعلق بالتدخل المسلح المشترك لأنه أدرك ان الحكومة النمساوية كانت تسعى من ورائه إلى تحقيق أهداف سياسية تتمثل بمنع صربيا من الوقوف الى جانب السلاف والى الاستحواذ على البوسنة والهرسك المجاورتين للنمسا، وكل ذلك كان غير مقبول من دولته التي كانت تريد الاستقلال الذاتي للبوسنة والهرسك ولم تكن مقتنعة تماما

[*]ميلان ابرينوفتش: امير صربيا (1868–1882) وملكها (1882–1889) اعلن الحرب ضد الدولة العثمانية، وحصل على استقلال بلاده في مؤتمر برلين .

بالموافقة على اعطائهما للنمسا لان ذلك من شأنه أن يقوض النفوذ الروسي في البلقان ويثير احتجاج الأوساط ذات الميول السلافية في الداخل [60، ص36].

أعلنت صربيا الحرب على الدولة العثمانية في الثلاثين من حزيران وتبعتها امارة الجبل الأسود في الثاني من تموز 1876وحظيت كلتاهما بمساعدات مادية وعسكرية روسية، وبذلك وضعت روسيا نفسها امام مهمة صعبة ففي حالة انتصار الدولة العثمانية فسيكون من الواجب عليها ان تتدخل لانقاذ صربيا وهذا بدوره سيثير نزاعا مع النمسا–المجر، وهذا ما كانت روسيا تخشى عواقبه، واذا حصل العكس وحققت صربيا نجاحا عسكريا في هذه الحرب فسيكون من الصعب تلافي الصدام بين الدول الأوربية الكبرى فيما يتعلق بتقسيم اراضي الدولة العثمانية [75، ص774]؛ [61، ص73–74].

قدم غورتشاكوف مذكرة إلى المسؤولين الالمان يدعو فيها الى قيام الدولتين بحماية المسيحيين في البلقان فقط من دون ذكر أي للإطماع الروسية في المنطقة او تجزئة ممتلكات الدولة العثمانية، الا ان الامبراطور الالماني وليم الاول ومستشاره بسمارك نصحا غورتشاكوف بالتعاون مع اندراسي والتنسيق بينهما، وفي هذا السياق سافر القيصر الكسندر الثاني ومعه وزير خارجيته غورتشاكوف والامبراطور النمساوي فرنسيس جوزيف ومعه وزير خارجيته اندراسي الى قلعة رايخشتادتReichstadt في بوهيميا وتمت مفاوضات بينهم فيما يتعلق بالأزمة البلقانية توصلت الى عقد اتفاقية رايخشتادت التي نصت على: ((عدم التدخل في المسألة الشرقية، والابقاء على الوضع الراهن في حالة هزيمة الصربيين، ومنع قيام دولة سلافية في شبه جزيرة البلقان في حالة هزيمة العثمانيين والعمل على ادخال اصلاحات فيها، وعودة روسيا الى حدودها على البحر الاسود واسيا الصغرى التي خسرتها بموجب معاهدة باريس ومولدافيا، وحصول صربيا على جزء من ولاية البوسنة، وحصول الجبل الاسود على مكاسب اقليمية، ومقاطعة نوفي بازار Navi Buzar يتم تقسيمهما بين صربيا والجبل الاسود. فيما تحصل النمسا – المجر على بقية ولايتي البوسنة والهرسك. وتمنح بلغاريا والروميلي الشرقي الاستقلال الذاتي، وتمنح بعض الاراضي لليونان، وتصبح العاصمة العثمانية مدينة حرة [19, P.185]؛ [72 , P.47]؛ [76,P.131] .

وفي ضوء هذه الترتيبات ينبغي الاشارة ان البلاد التي كانت الصرب تستهدف ضمها من هذه الحرب دخلت في حوزة النمسا–المجر وهو ما كان يتناقض تناقضاً كاملاً مع آمال الرابطة السلافية[77، ص168].

ظلت هزيمة روسيا في حرب القرم مستحوذة على غورتشاكوف، لهذا طالب بجنوب بسارابيا وكان دوما على استعداد لان يدعم النمسا–المجر لتنال جزءا من البوسنة مقابل ذلك، ولم تكن اتفاقية رايخشتادت لوزير خارجية روسيا المذكور بالنسبة لبلاده مدخلا لسياسة سلافية شاملة، بل لم يحاول غورتشاكوف تطبيق سياسة تقسيم اراضي الدولة العثمانية التي اقترحها المستشار الالماني بسمارك، فكانت الاتفاقية مجرد تنفيذ للوعد التي قطعته روسيا والنمسا–المجر في النصف الثاني من سبعينيات القرن التاسع عشر أي اذا حدثت خلافات بينهما فإنهما سيعملان على تسوية الأمر ودياً [45، ص281].

مضت صربيا وامارة الجبل الأسود في الحرب بشجاعة وحماس تنقصها الخبرة، وزاد العثمانيون حماسهم أيضاً، وتدفق المتطوعون إلى اسطنبول في اعداد وفيرة زادت من قدرة الجيش العثماني على تجنيدهم وكانت النتيجة ان الصرب لقيت هزيمة شنعاء، ورفض جنود الجبل الأسود القتال خارج الهرسك وتركوا الصرب لتلقى هزيمتها بمفردها في الجبهة الحاسمة من البوسنة في24 اب 1876، وبذلك فتح الطريق امام القوات العثمانية نحو بلغراد [56، ص232]؛ [78,PP.404–405].

وإزاء هذا الوضع العسكري المتردي لصربيا طلب الامير ميلان في الوقت نفسه من الدول الكبرى ولا سيما بريطانيا وفرنسا والنمسا–المجر وروسيا أن تتوسط بينه وبين الدولة العثمانية لوقف القتال[*] وبناء على ذلك اجتمع سفراء الدول الاوربية الكبرى في اسطنبول وتم تقديم مقترحاً لمعالجة الازمة البلقانية وقرار السلام في شبه جزيرة البلقان اتفقت عليه حكوماتهم تضمن بما يلي[61, P.110]:

اولاً: بقاء صربيا والجبل الاسود على وضعها القائم انذاك.

ثانياً: تتعهد الحكومة العثمانية وباتفاق تم توقيعه في اسطنبول مع ممثلي القوى الكبرى بأن تمنح البوسنة والهرسك نوعاً من الحكم الذاتي الإداري المحلي الذي يتكون من إقامة نظام من المؤسسات المحلية التي تعطي للسكان نوعا من المشاركة في الحكم أو إدارة شؤونهم المحلية، وتعطي ضمانات على عدم استعمال القسوة والعنف، وتتعهد بعدم اقامة محميات عسكرية تابعة لها.

ثالثاً: تتعهد الحكومة العثمانية باجراء اصلاحات شاملة في جميع الميادين وتحديث مؤسساتها الإدارية التي تعاني من التخلف.

ازاء اختلاف وجهات النظر للدول الاوربية الكبرى تجاه الازمة البلقانية أبلغ السفير الروسي في لندن شوفالوف وبتوجيه من وزير الخارجية الروسية غورتشاكوف في26 ايلول 1876 إن الحكومة الروسية تطلب بقاء قوات عسكرية روسية في بلغاريا، وقوات نمساوية – مجرية في البوسنة والهرسك، واساطيل بريطانية في بحر مرمرة إذا رفضت الدولة العثمانية شروط السلام التي تقررها الدول الاوربية الكبرى مع صربيا والجبل الاسود، وأجاب دربي في 30 تشرين الاول 1876على الطلب الروسي بالرفض، ودعا الى عقد هدنة بين الدولة العثمانية وبين صربيا والجبل الاسود، وفي اليوم التالي سلم شوفالوف برقية من غورتشاكوف الى دربي جاء فيها: ((ان الروس اصروا على عقد هدنة، وان المساعي المبذولة من اجل سيادة السلام في الدول البلقانية تواجه معوقات كثيرة تضعها الحكومة العثمانية في اسطنبول، واستؤنف القتال في 28ايلول بين القوات العثمانية وقوات صربيا، وان الدولة الروسية لا تبقى مكتوفة الايدي ، لذا فإن القيصر الكسندر الثاني يرى إنه لا بد من تدخل دولي لاتخاذ الإجراءات الوقائية اللازمة لإطفاء شعلة النيران التي تأججت في البلقان، واجبار الحكومة العثمانية بالقوة لقبول هدنة قصيرة أمدها شهر ونصف تقريبا، لمنح فرصة امام الدول الأوربية الكبرى من حل الأزمة البلقانية وتهدئة الأوضاع السائدة في تلك المنطقة)) [59، ص133–134].

أعرب وزير خارجية بريطانيا دربي عن شدة مخاوفه فيما يتعلق بتواجد القوات العسكرية الروسية ضمن قوات صربيا والجبل الاسود، وتزايد أعدادهم الى درجة المشاركة الفعلية في الحرب الدائرة بينهما، وأعلن عن تعاطفه مع قلق رومانيا بشأن عبور المقاتلين الروس عبر اراضيها، لان ذلك سيعني تقويض حياد رومانيا بشأن الصراع المسلح في شبه جزيرة البلقان، وعبر عن شكوك الحكومة البريطانية في النوايا الروسية، واتهم نظيره غورتشاكوف بعدم الجدية والتفاني في العمل من اجل سيادة السلام في هذه المنطقة [P.213 79,].

اعطى القيصر الكسندر الثاني اوامره في 13 تشرين الثاني 1876 بتعبئة ستة فيالق عسكرية باتجاه الحدود الجنوبية الروسية على نهر البروث وحدود الدولة العثمانية، وعين الدوق الاكبر نيقولا نيقولافج

[*] د. ك. و. المسألة الشرقية 1840–1911، رقم الملفة (978–1063)، رقم الوثيقة(1–178).

Nikolai Nikolavich [*] قائدا لجيش الدانوب ووضعت الخطط العسكرية للمقاتلين ليكونوا على أهبة الاستعداد للحرب المقبلة في حالة اندلاعها [81,P.19].

وضح وزير الخارجية الروسية غورتشاكوف دوافع التعبئة العسكرية الروسية في بلاغ أرسله إلى جميع السفارات الروسية في العواصم الأوربية قائلاً فيه: ((إن مأساة المسيحيين في البلقان اثار قلق ومخاوف الأوربيين، وعلى الحكومات الأوربية تتكاتف وتتضامن من اجل ايجاد افضل الحلول المناسبة لإنقاذهم من القهر والتسلط والظلم، وأن الدولة العثمانية لم تقم بأي مبادرة جادة لحل مأساتهم التي يعانون منها، بل كرست جميع مساعيها لجمع المقاتلين من ولاياتها البعيدة واستخدمت سياسة تحريض المسلمين ضد المسيحيين أمام انظار الدول الاوربية، وبسبب ذلك دعا القيصر الأوربيين الى التعاون فيما بينهم، ومن اجل ذلك حشدت روسيا قطعاتها العسكرية على الرغم ان القيصر الكسندر لا يرغب في اعلان الحرب، لكنه بوقت مسبق بذل كل جهوده واتبع جميع الاساليب الدبلوماسية التي تهدف لحل الازمة بصورة سلمية، واذا هذه الاساليب لم تحقق الاهداف المنشودة فلا بدّ من الحرب، والقوات العسكرية الروسية ستكون على استعداد كامل لها مهما كانت نتائجها)) [82, P.247].

أجاب صفوت باشا وزير خارجية الدولة العثمانية على تصريحات غورتشاكوف في تقرير رسمي أرسله إلى سفراء الدولة العثمانية في عواصم الدول الاوربية الكبرى أوضح فيه قائلاً: ((إن غوورتشاكوف حاول اظهار روسيا بأنها محقة في استعدادتها العسكرية امام أوربا، ووضع كل المسؤوليات على الدولة العثمانية واتهمها بإراقة الدماء، وهو لا يستند في ذلك إلا على أوهام من روابط العرق والمذهب، وان الحكومة العثمانية تتأسف على مثل هذه المواقف والتصريحات الروسية، وإن الدولة العثمانية في الوقت التي تضرب بيد من حديد كل من يهدد أمن البلاد ويعرض سيادتها الى الخطر فإنها تعامل مواطنيها بروح الرأفة والشفقة، وأعلنت العفو عن كل من يلقي السلاح من الثوار، وان الحكومة العثمانية ليست مسؤولة عن إراقة الدماء، وذكر صفوت باشا في تقريره ايضا: أن موافقة بلاده على الهدنة، وقبوله عقد مؤتمر دولي لمعالجة الأزمة البلقانية هما دليلان على هدف الدولة العثمانية هو سيادة السلام وان عدم ترك الأمور بيد الثوار لا يعد جريمة، وقال ان دولته ملتزمة بمعاهدة باريس عام 1856 رغم انه لم تتلق أي دعم وعدت به الدول، الا انها سائرة بعزم لتطبيق الإصلاحات في جميع الولايات العثمانية))[59، ص145].

كانت حرب القرم ومعاهدة باريس في نظر الروس إهانة شديدة وجهت اليهم، ولم يحققوا طموحاتهم السياسية التي خططوا لها، الا ان القيصر الكسندر الثاني بذل جميع مساعيه من اجل وضع خطط عسكرية لتلافي الاخطاء التي وقعت بها روسيا في هذه الحرب، فأخذت هذه الدولة تحشد جيشها استعدادا لخوض حرب جديدة ضد الدولة العثمانية تزيل هزيمتهم في الحرب المذكورة والتحرر من القيود التي فرضت عليها في معاهدة باريس وايجاد تسوية لحل الأزمة البلقانية [245– 83, PP.231].

أبلغ غورتشاكوف وزير خارجية روسيا توفيق بك سفير الدولة العثمانية في سان بطرسبورغ اعلان دولته الحرب على الدولة العثمانية في24 نيسان 1877وقطعت العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين، وفي الوقت نفسه سلم الامير الكسندر نيلدوف Alexander Nelidov السفير الروسي في اسطنبول رسالة مماثلة الى وزير خارجية الدولة العثمانية صفوت باشا، بعد ذلك ابلغ غورتشاكوف حكومات الدول الكبرى بان روسيا

---

[*]نيقولا نيقولافج(1856–1929): القائد العام للجيش في الحرب الروسية العثمانية (1877–1878) وهو اخو القيصر الكسندر الثاني، وشارك ايضا في الثورة الروسية عام 1905.

استخدمت القوة العسكرية لإجبار العثمانيين تنفيذ ما أرادته الدول الأوربية الكبرى فيما يتعلق بإجراء الإصلاحات لتحسين أوضاع المسيحيين في البوسنة والهرسك وبلغاريا ووضع مراقبة دولية لتطبيقها، ومعاملة جميع المواطنين بالتساوي في القضاء والقانون، وتكفل لهم حرية العقيدة والتعليم وتكون اللغات المحلية كالبلغارية والصربية لها حق متساو مع اللغة التركية ، وتبقى الجوامع والمدارس والكنائس والمستشفيات في أيدي المالكين، ودعا غورتشاكوف حكومات القوى الكبرى الى الانضمام الى روسيا [84، ص154–155]؛ [59، ص156–157،182].

أعلنت الدول الاوربية حيادها التام من الحرب الروسية –العثمانية، فقد وجدت المانيا مصلحتها في الحياد حتى لا تخسر روسيا بوصفها حليفة لها مع النمسا–المجر في عصبة الاباطرة الثلاثة، ولم تكن لفرنسا مصلحة في الحرب لا سيما انها لم تنس موقف روسيا المعادي لها في حرب السبعين، وايطاليا التزمت جانب الحياد لانها بحاجة الى بناء كيانها الداخلي وتدعيم مركزها دون ان تعرض مكاسبها للضياع وآثرت أن تبعد نفسها عن مشاكل البلقان قدر المستطاع[56، ص248–249].

اما النمسا–المجر فقد التزمت الحياد الودي من هذه الحرب بفضل دبلوماسية غورتشاكوف البارعة الذي قام بمساومة نظيره اندراسي بمنح النمسا–المجر البوسنة والهرسك وعدم قيام دولة سلافية في حالة انهيار الدولة العثمانية، مقابل ذلك وقوفها على جانب الحياد في الحرب الروسية –العثمانية[45، ص286–287]. في حين ان بريطانيا اتخذت موقف التريث والانتظار فيما تسفر عن هذه الحرب، ثم التدخل في الوقت المناسب لحماية المصالح البريطانية في المنطقة ومواصلة سياستها التقليدية في المحافظة على الدولة العثمانية، والحيلولة دون وقوع اسطنبول والمضايق العثمانية تحت الهيمنة الروسية[61, P.156].

حققت روسيا نجاحا عسكريا في الحرب الروسية–العثمانية [85، ص78–113]؛ [86,PP.108–116]. عندما دخلت قواتها العسكرية بقيادة نيقولا نيقولافج سان ستيفانو San Stefano الواقعة على بعد ثمانية اميال جنوب غرب اسطنبول في 23 شباط 1878بقوة تعدادها(10،000) جندي [19,P.211]؛ [61,P.201].

توصل الطرفان الروسي والعثماني الى عقد معاهدة سان ستيفانو في 3 اذار 1878 التي تضمنت تسعا وعشرين مادة التي نظمت العلاقات بين الدولتين [87, ,PP.396–407].

قوبلت هذه المعاهدة بالرفض القاطع من الدول الاوربية الكبرى، لان الرأي العام الاوربي يرى ان الروس وضعوا اقدامهم مرة أخرى في البلقان عن طريق إيجاد دولة بلغارية كبيرة تحت نفوذهم وهذا بحد ذاته يشكل تهديدا لمصالح الدول الكبرى في مضيقي البسفور والدردنيل واسطنبول، وإخلالا كبيرا في التوازن الدولي [*].

اوضح غورتشاكوف في لائحة عممها على سفراء روسيا في الدول الكبرى في نيسان من العام نفسه ودافع فيها عن معاهدة سان ستيفانو موضحا بنودها قائلاً: ((ان بلغاريا ليست من صنع روسيا، بل أقرتها الدول الكبرى في مؤتمر اسطنبول، ونفى وزير خارجية روسيا وقوعها تحت السيطرة الروسية وقال: ان بقاء القوات الروسية فيها مؤقت وانها سوف تنسحب بعد سنتين بعد اقرار النظام فيها، ودافع غورتشاكوف عن الحدود البلغارية وقال: انها تشمل المناطق التي اغلب سكانها من البلغار، وان حقوق غير البلغاريين ستكون مضمونة وفق الأنظمة والقوانين التي تصدرها حكومة الامارة بموافقة الدول الكبرى، وان اميرها ينتخب من قبل اهالي بلغاريا على ان لا يكون من احد افراد الأسر الحاكمة في الدول الأوربية، وتبقى الامارة تحت

[*] د. ك. و. المسألة الشرقية 1840–1911، رقم الملفة (296–569) ، رقم الوثيقة (1–97).

السيادة العثمانية، اما بشأن الزام الحكومة العثمانية باجراء اصلاحات في تساليا وابيروس فقد جاءت مراعاة لمصالح اهالي تلك المناطق وليس الهدف منها مد النفوذ الروسي اليها، وما ادعته بريطانيا بان روسيا مسؤولة عن حماية النصارى الأرثوذكس في الولايات العثمانية هو ادعاء باطل. وقال غورتشاكوف: ان قصد روسيا حماية الرهبان والقسس وزوار الكنائس من الروس، وهذا يختلف عما جاء في معاهدة كوجك كينارجي القاضي باضفاء الحماية الروسية على كافة المسيحيين الأرثوذكس في الدولة العثمانية، وكذلك نفى غورتشاكوف وجود سيطرة روسية على البحر الاسود وقال: ان روسيا ستراعي حقوق ومصالح جميع الدول في هذا البحر ونهر الدانوب، وان سيطرة روسيا على قارص واردهان ليس الهدف منه مد النفوذ الروسي الى الاسكندرونة، وانما لحماية حدود روسيا في المنطقة، اما بشأن الغرامات الحربية وأثرها في الدين العام العثماني قال غورتشاكوف: ان معاهدة سان ستيفانو بعد موافقة الدول الكبرى عليها ستؤدي الى إقرار الامن والسلام وتساعد الدولة العثمانية على اصلاح أمورها المالية والإدارية مما يسهل عليها دفع الديون بشكل منتظم)) [59، ص227].

مارس بسمارك دورا فاعلا لاقناع وزير خارجية روسيا غوتشاكوف بعرض شروط معاهدة ستيفانو على القوى الكبرى لتعديلها واستبدالها بمعاهدة اخرى لا سيما بعد ان شعروا الروس بعداء تام تجاههم ساد في جميع الدول الاوربية لكي يمنع اندلاع حرب مقبلة(**). وتمت الموافقة على عقد معاهدة برلين في 13تموز 1878 برئاسة المستشار الالماني بسمارك في برلين(***).

ادت معاهدة برلين الى توتر العلاقات الأوربية، فقد كانت هذه المعاهدة مهمة لألمانيا بما أنجز بسمارك من مساومات تطبيقاً لسياسة توازن القوى، فلم يقف المستشار الألماني الى جانب غورتشاكوف كما وعده بذلك، وقضى على جميع الطموحات الروسية في معاهدة ستيفانو، وقوض عصبة الأباطرة الثلاثة، وكان قلب بسمارك تراوده الشكوك والريبة من جانب وزير خارجية روسيا، بل كان يرى ان غورتشاكوف صداقته متقلبة غير جديرة بالثقة ودبلوماسيته ماكرة، وكان يفصله عنه بغضاء سياسية شخصية قوية مبنية على عدم التقدير وقلة الاحترام [30،ص389].

كان لمعاهدة برلين تأثير سيء على العلاقات الروسية–الالمانية، فقد اتهم غورتشاكوف بسمارك بدعم المصالح البريطانية والنمساوية–المجرية في هذه المعاهدة، لكن المستشار الالماني انكر ذلك قائلا: " لا تدعني في موقف متأزم وتجعلني امزق دول عصبة الاباطرة الثلاثة واختار دولة واحدة لتكون حليفة لدولتي اما روسيا او النمسا–المجر". مما اثار غضب غورتشاكوف وغادر برلين وهو حانق عليه، وقد كانت العداوة الشخصية بينهما والحملات الصحفية العنيفة التي وجهها كل طرف الى الاخر سبباً في توتر العلاقات بين دول عصبة الاباطرة الثلاثة، ومن ثم انهيارها بسبب التنافس الشديد بين روسيا والنمسا–المجر في توسيع نفوذهما السياسي في شبه جزيرة البلقان [84ص190]؛ [48، ص54].

(**) د. ك. و. المسألة الشرقية 1840–1911، رقم الملفة (573–805) ، رقم الوثيقة (1–97).

(***) اهم ما تضمنت معاهدة برلين: تقسيم بلغاريا الى ثلاثة اقسام ، امارة ذات حكم ذاتي تدفع الجزية الى السلطان العثماني، واقليم روميليا الشرقية والمستقل اداريا تحت السلطة السياسية والعسكرية العثمانية المباشرة، واقليم مقدونيا اعيد الى الدولة العثمانية، وتنازلت رومانيا عن بسارابيا الجنوبية الغربية الى روسيا، واعطيت لها دبروجة من روسيا، واعترف رسميا بالاستقلال التام لكل من صربيا والجبل الاسود ورومانيا، ومنحت النمسا– المجر احتلال وإدارة البوسنة والهرسك على ان تبقيا تحت السلطة العثمانية، وان تعيد روسيا للدولة العثمانية اودية الشغرد ومدينة بايزيد .

استمر غورتشاكوف في منصب وزير خارجية روسيا خلال السنوات الثلاث بعد انعقاد مؤتمر برلين الذي كرس جميع مساعيه من اجل الحفاظ على توازن القوى في اوربا، وفي 3 كانون الثاني 1881 اصيب بمرض وساءت حالته الصحية التي منعته من المساهمة في المفاوضات التي عقد في العاصمة الالمانية كانت نتيجتها عقد التحالف الروسي الالماني النمساوي في 18 حزيران 1881، ثم قدم غورتشاكوف عام 1882 الاستقالة من منصب وزير الخارجية الروسية، وكان يقضي اوقاته في لقاءات اصدقائه وكتابة المذكرات الشخصية، وتوفي في 27 شباط 1883 بمدينة بادن الالمانية ونقل جثمانه الى روسيا ودفن في بطرسبورغ [90، ص99]؛ [78,P.426]؛ [91].

4- الخاتمة

اوضحت الدراسة إن غورتشاكوف اختط سياسة بنفسه ولم يعتمد على أرث عائلته السياسي وإنما فرض نفسه على الساحة السياسية في روسيا من خلال آرائه ومناقشاته في المؤتمرات التي كانت تعقد في مدة تسلمه منصب وزير الخارجية الروسية وخطبه السياسية التي كانت تثير الإعجاب وتزيد من نفوذه السياسي يوما بعد يوم بين أساطين السياسة، وما نراه شن هجوما عنيفا على أعدائها دفاعا عن روسيته التي يخلص لها كل الإخلاص و تمكن من ادارة شؤون روسيا الخارجية في أشد الظروف صعوبة تلك هي تصاعد الازمة البلقانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، التي شهدت بداياتها أخفاقات عسكرية مريرة لروسيا حتى أدرك الساسة الروس والشعب الروسي، إن أفضل من يدير شؤون روسيا الخارجية في وقت الحرب هو غورتشاكوف، ذلك الرجل الذي كان معجبا برومانسية الحرب وأهوالها على حد سواء ولا يؤمن بالاستسلام لأنه يرى بأن التسويات يجب أن تجري من موقع القوة وأن هذه القوة لا تتحقق إلا بالنصر الكامل.

كشفت الدراسة اهتمام غورتشاكوف بالغاء بنود معاهدة باريس التي انتقصت من مكانة روسيا الدولية ولا سيما البند الذي تضمن تحييد البحر الاسود واسترجاع نفوذها السياسي في البلقان، فقد وعد غورتشاكوف المستشار البروسي بسمارك بعدم التدخل في الحرب السبعينية، مقابل ذلك ابدى الاخير استعداده لإسناد روسيا في مساعيها للتخلص من قيود معاهدة باريس. أي تطبيق سياسة المساومة وفقا لما تقتضيه مصالح روسيا السياسية والاقتصادية في الدولة العثمانية، وقد هيأ اندحار فرنسا في هذه الحرب ذلك، وحقق نجاحا سياسيا ودبلوماسيا لدولته واصبحت لها القدرة على امتلاك اسطول بحري خاص بها في هذا البحر، فعقد في كانون الثاني1871 مؤتمر في لندن تمخض عن الغاء حياد البحر الأسود وإقرار مبدأ المضايق امام السفن الحربية مع منح الدولة العثمانية الحق في فتحها وقت السلم امام السفن الحربية العائدة للدول الصديقة، كذلك طبق غورتشاكوف سياسة المساومة في الحرب الروسية –العثمانية 1877–1878التي حقق فيها نجاحا عسكريا واقتراب القوات الروسية من المضايق واسطنبول لولا المعارضة الشديدة من قبل الدول الاوربية الكبرى لاستطاع ان يحقق هدف الروس وطموحاتهم السياسية للوصول الى المياه الدافئة.

5- المصادر

1.Dominic, Lieven , Imperial Russia 1689-1917, Vol.11, Cambridge University Press, 2oo6 .

2. Encyclopaedia of Russia History , Vo.2. , NewYork ,Macmillan Roference,2004.

http://en.wikipedia marefa.org/wiki Alexander Gorchakov ,1798-1883. 3.

4. فيدوسوف، يبيفانوف، تاريخ الاتحاد السوفيتي، منشورات دار التقدم، موسكو، د.ت.

5.Clarence L. Barnhart, the New Century Cyclopaedia of Names, Vol.1, New Jersey, 1954.

6.Charles and Barbara Jelavich , Russia in East 1876-1880, Longon,1958.
7. https://www.marefa.org.
8.Jane Burbank, Mark Von Hagen, Russian Empire 1700–1930, Cambridge University Press 2oo6.
9. http://en.wikipedia marefa.org/wiki Alexander Gorchakov ,1798-1883 .
10.Tim Chapman, Imperial Russia 1801–1905, London , 2001.
11. جون باتريك كينروس، القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ترجمة : ناهد إبراهيم دسوقي، دار المعارف، الإسكندرية، 2003.
12.Pemberton, W. Baring, Battles of the Crimean War, London,1962.
13.Encyclopedia of Russian History, James and Others (edrs.),Vol.3, NewYork, Macmillan Roference,2004.
14.Marriott, J.A.R, The Eastern Question An Hictorical study in European Diplomacy, London,1925 .
15. هاشم صالح التكريتي، دراسات في المسألتين الشرقية والمغربية، منشورات المعرفة، بغداد،2010.
16. Hingley,Ronald,The Tsars 1533-1917, New York ,1968, PP.244-245.
17.The New Encyclopaedia Britannica, Vol.8, , (London,1966) PP.20-21 ؛ Vol.12, P.17.
18. هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الأولى1774–1856، مطبعة دار الحكمة، بغداد، 1990.
19. Anderson, M.S., The Eastern Question 1774-1923 A Study in International Relations, New York,1966.
20. جفري برون ، تاريخ اوربا الحديث، ترجمة: علي المرزوقي، منشورات الأهليّة، بيروت، 2006.
21.Anderson, M.S., The Eastern Question 1774-1923 A Study in International Relations.
22.New Encyclopaedia Britannica, Vol.5.
23. محمد كمال الدسوقي، تاريخ أوربا الحديث1800– 1918، منشورات النهضة الجديدة، القاهرة، د. ت.
24. بسام العسلي، فن الحرب الاسلامي في العهد العثماني، المجلد الخامس، دار الفكر، د.م ، د.ت .
25.Paul W. Schroeder, Austria , Great Britain and The Grimean War , London, 1972.
26.Palmer, A.W., A Dictionary of Modern History 1789'1945,(Penguin Books, 1972.
27. Vinogradov , N.V., Velikobritaniya I Balkany at Benskovo Kongressa do krmskoy voyny , Moskva 1985,str. 31.
28. СОСТАВИВЮ Ю.ИВРРСНН, В ААРСТВОВАНІ И ИМПРРАТОРА АЛКСАНДРА II, Москва, 9 для ФВВРДЛЯ 1880, ПП.4-5;
Encyclopaedia of Russia History , Vo.1. 29.
30. فشر . أ. ل ،تاريخ أوربا في العصر الحديث (1789–1950)، ترجمة :احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، منشورات دار المعارف، ط9 القاهرة، 1964.
31. зовскаго, Политические события в России во время правления Александра II, Прогресс Хаус, Москва, 1891.
32. جورج فرنادسكي، تاريخ روسيا، ترجمة : عبد الله سالم الزليتني، منشورات المكتب الوطني للبحث والتطوير، طرابلس، 2007.
33. Wiener Joel H , Great Britain : Foreign Policy and the Span of Empire 1689–1971, A documentary History, VoI. 3, London ,1972.

34.The Holly Alliance, 26 september, 1815. Documents in the Political History of the European continent 1815-1939, selected and edited by G.A.Kertesz (Oxford,1970),Doc. No.3.
35.W. P. Cresson, the Holy Alliance, Washington, 1922.
36. Quoted in https://www.marefa. Org / wiki/ Alexander Gorchakov of Russia.
36. هاشم صالح مهدي التكريتي، روسيا 1700–1914، (بغداد، د. ت).
37. اميل لودفيغ، بسمارك رجل الدم والحديد، ترجمة: عصام محمد سليمان، منشورات الدار القومية، القاهرة ، 1997.
38. F. H. Hinsley, Werner Richter Bismarck, Translated by Brian Battershaw , London, 1964 .
39. صالح محمد العابد ، حركة الانبعاث الايطالية، مجلة المؤرخ العربي، العدد 40، بغداد، 1981.
40. Treaty of peace between Austria and Prussia, Signed at Prague, 23 August, 1866 in Hurst, Michael, Key Treaties for the Great Powers 1814-1914, vol.1, 1814-1870, (London, 1970), Doc. No. 85.
41.https://www.marefa.org.
42.Goeffrey , Wawro, The Franco Prssian War The German Conquest of France in 1870–1871, Cambridge University Press,2003.
43.Raff.D.A, History of Germany from the Medieral Empire to the Present translated from the German by Bace Little , (Oxford ,1988), P.493.
43. زينب عبد المطلب طاهر، سياسات الدول الكبرى في اواخر القرن التاسع عشر وأثرها في تهيئة اجواء الحرب، بحث منشور في مجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة المستنصرية ، المجلد 21، العدد88، 2015.
44. Charles and Barbara Jelavich ,op.cit., PP.74-86,148; Palmer ,op.cit., P. 27.
45 . تايلر آ.ج.ب.، الصراع على السيادة في أوربا 1848–1918، ترجمة: كاظم هاشم نعمة ويوئيل عزيز، المركز الثقافي العربي،الموصل،1980.
46.Langer ,William ,European Alliances and Alignment 1871–1890, New York,1939.
47. بسام العسلي، مشاهير قادة العالم فون مولتكه (1800–1891)، منشورات المؤسسة العربية ، بيروت، 1981.
48. حسن زغير حزيم، سياسة التحالفات الأوربية وأثرها في العلاقات السياسية الأوربية (1879–1908) دراسة تاريخية في الدبلوماسية الأوربية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2008.
49. محمد يحيى احمد عباس،العلاقات السياسية بين بريطانيا والمانيا 1871–1880، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، 2007.
50. محمد حسن العيلة، اواسط اسيا الاسلامية بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني، منشورات دار الثقافة، الدوحة، 1986.
51.Encyclopaedia Britannica, Vol. lII, (London,1966),PP.505-506.
52. Langer ,William ,European Alliances and Alignment 1871–1890,PP.24-25.
53.Encyclopaedia Britannica, Vol. 19, (London,1966),PP.771.
54. حسين لبيب ، تاريخ المسألة الشرقية ، منشورات مطبعة الهلال، القاهرة، 1921.

55. سدني برادشو في، اسباب الحرب العالمية الاولى قبل فاجعة سراييفو ،ج1، ترجمة: محمود ابراهيم الدسوقي، منشورات الاعتماد، القاهرة، 1932.

56. محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، منشورات الثقافة، القاهرة، 1976، ص220.

57. دائرة المعارف الاسلامية، ج4، مادة (البوسنة والهرسك).

58. David Harris , A Diplomatic History of The Balkan Crisis of 1875-1878, New York ,1969.

59. للتفاصيل حول تقديم الدعم المالي والعسكري من الدول المجاورة لا سيما صربيا والجبل الاسود للدول البلقانية ينظر: محسن حمزة حسن العبيدي، الأزمة البلقانية 1875–1878، دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الأوربية،أطروحة دكتوراه(غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الموصل،2000.

60. هاشم صالح التكريتي، الصراع بين الدول الكبرى في البلقان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (الأزمة البلقانية 1875– 1878 نموذجاً)، (مطبعة بغداد، بغداد، 2008.

61.Mihailo D. Stojanović, The Great Powers And The Balkans 1875-1878, Cambridge University Press ,1968, P.28; Anderson, M.S., The Eastern Question, op.cit., PP.181-182.

62.Genov, Tsonko, The Russo – Turkish War 1877-1878 and The Liberation of Bulgaria, Sofia –N. D.

63. Encyclopaedia Britannica, Vol. 7, London,1966.

64. حسن سعيد اللمع، لمحات من تاريخ بلغاريا، مطبوعات دار الثقافة، دمشق،1981، ص216–238.

65. دائرة المعارف الاسلامية،ج4، مادة بلغاريا، ص103–104.

66. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج1، منشورات المؤسسة العربية، بيروت، 1979، ص556–557.

67. Simsir N.Bilal , The Turks of Balgaria 1878-1985, London, 1988 .

68.IiIye Kyulyovski , Bulgaria 1878–1978 Sofia , 1977, PP.22–23;

69. William Miller, The Ottoman Empire and its Successors 1801-1927,(London,1966),P.365.

70. Seton Watson ,Disraeli Gladiston and the Eastern Question A study in Diplomacy and Party Politics , London , 1935.

71.Jelavich B., History of the Balkans, Vol.I , New York , 1985.

72. نادية جاسم كاظم الشمري، العلاقات الالمانية –الروسية 1870–1914، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، 2017.

73. جورج سكولوف، روسيا 1815–1991، ترجمة: انطون حمصي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1999.

74.Kovacs,Frederic W. L., Balkans, London,1942.

75. نادية جاسم كاظم الشمري، العلاقات السياسية الالمانية–الروسية 1870–1877، بحث منشور، مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، العدد 29، 2016.

76. Hosch Edgar, The Balkans A short History From Greek Times to the Present Day, London, Faber& Limited Queen Square, 1972 ,P. 131; Seton Watson Disraeli Gladiston and the Eastern Question, P.47; Anderson, M.S., The Eastern Question, op.cit., P. 185.

77. تشارلز بيلافيتش، بربارا ، تفكيك اوربا العثمانية(انشاء دول البلقان القومية) 1804–1920، ترجمة: عاصم الدسوقي، منشورات العالم الثالث ، القاهرة ، 2007.

78. Shavrianos, L.S.,The Balkans since1453, New York, 1958, PP. 404-405.

79.Affairs Etrangeres Documents Diplomatiques Affairs D Orient 1875-1877 Memrandum Lord Derby ,30 October 1876.

80. http://en. wikipedia. org/wiki/ Grand Duke Nichola Nikolaevich.

81. Genov , Tsonko, The Russo – Turkish War 1877-1878 and The Liberation of Bulgaria, Sofia –N. D.

82.Affairs Etrangeres Documents Diplomatiques Affairs D Orient , - LE Prince Gortschakov , A Prince Orloff Ambassadaur De Russia A Paris ,13 November 1876 .

83.ВОСПОМИНАНІЯ и РАЗСКАЗЫ, Александра Ерещагин, книжнаго склада в. А. Березовскаго, С.– Петербург, 1886.

84. علاء محمد جهاد عبد الحسين الخفاجي، سياسة روسيا الخارجية في عهد القيصر الكسندر الثاني (1855–1881)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة كربلاء، 2018.

85. للتفاصيل عن الحرب الروسية –العثمانية 1877–1878 يراجع: دموع علي راجي الفتلاوي، الحرب الروسية–العثمانية 1877– 1878(دراسة تأريخية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، 2015.

86. Wœstyne , LAGuerre RussoTurque1877-1878, Paris,1903.

87. Clive, Parry ,L.L.D, The Consolidated Treaty Series, Vol.151, New York ,1977.

88. الشدياق ، كنز الرغائب في منتجبات الجوائب ،ج6،مطبعة الجوائب، اسطنبول، 1974.

89. D.P.H.E.C., Treaty of Berlin 13 July,1878 Between Great Britain , Austria Hingary ,France ,Germany Italy ,Russia and Turkey For Interational Affaiars 1815-1939; Doc,No. 98-100,PP.207-209.

90. يقظان سعدون العامر،اهمية روسيا في سياسة بسمارك الخارجية (1871–1887)، مجلة الاستاذ ، العدد 24، كلية التربية ،ابن رشد، جامعة بغداد، 2001.

91. http://en.wikipedia marefa.org/wiki Alexander Gorchakov ,1798-1883 .